
رجل المستحيل
سم الكوبرا!
Looloo

١ ـ الصندوق الأسود ..

رفع مدير المخابرات المصرية عينيه فى هدوء ، يتأمل رجل المخابرات الواقف أمامه ، بقامته الفارعة ، وقوامه الممشوق ، وكتفيه العريضتين ووجهه الوسيم الهادئ ، الذى يجمع فى مزيج عجيب ما بين الحزم والقوة والسخرية والاستهتار ، ثم أشار إلى المقعد المجاور له ، وقال وهو يحوّل عينيه عن رجل المخابرات :

ـ اجلس يا (ن ـ ١) .. هناك مهمة عاجلة ، تحتاج إلى رجل مثلك .

جلس (أدهم صبرى) فى هدوء ، وابتسم وهو يقول :

ـ إننى أتشوّق لذلك يا سيّدى ، فمنذ عودتى إلى الصفوف فى الشهر الماضى ، لم تسند إلىّ أية مهام مثيرة (*) .

مطّ مدير المخابرات شفتيه ، وغمغم فى هدوء :

ـ مهمتك هذه المرّة ستكون أكثر من مثيرة يا (ن ـ ١) .

ثم اعتدل ، وشبّك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يستطرد :

(*) راجع قصة (مهمة حاسمة) .. المغامرة رقم (٥٠) .

ـ أمس فجرًا عبرت مجالنا الجوى طائرة استطلاع وتصوير مجهولة الهوية ، على ارتفاع شاهق ، وأطلقنا خلفها صواريخنا المضادة للطائرات ، فراوغت ، وناورت فى مهارة ، ونجحت فى الإفلات منها ، ولم يكن أمام قوات الدفاع الجوى ـ حينئذ ـ إلا اعتراضها بطائرات مقاتلة ، فأصابتها وأسقطتها .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يغمغم :

ـ مَنْ أسقط مَنْ ؟

غمغم مدير المخابرات فى استنكار :

ـ طائراتنا أسقطتها بالطبع يا (أدهم) .. هل تشك فى كفاءة مقاتلينا ؟

هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال :

ـ لا بالطبع ، ولكننى ظننت أن هذه النتيجة تلغى وجود مهمة ما .

قلّب مدير المخابرات كفيه ، وقال :

ـ كان هذا هو المفروض يا (ن ـ ١) ، ولكن الطائرة لم تسقط هنا .

عاد حاجبا (أدهم) ينعقدان فى تساؤل ، وتابع مدير المخابرات فى اهتمام بالغ :

— حينما لحقت طائراتنا بطائرة التجسس ، واشتبكت معها ، كانت تلك الأخيرة قد وصلت إلى شاطئ الإسكندرية ، وعندما أصيبت ، أمكنها مواصلة انطلاقها بعض الوقت ، ولم تستطع مقاتلاتنا تعقبها ، نظرًا لخروجها من مجالنا الجوى ، ولكنها لم تلبث أن اشتعلت وسقطت بعد جزر (أيونى) ، وانفجرت أمام السواحل اليوغوسلافية ، وهوت أشلاؤها فى البحر (الأدرياتى) .

صمت مدير المخابرات لحظة ، ولم يحاول (أدهم) التعليق بكلمة واحدة ، حتى عاد المدير يستطرد :

— فى كل الطائرات المقاتلة ، يوجد مايسمى بالصندوق الأسود ، وهو ذلك الجهاز الذى يسجل كل مامرّ بالطائرة منذ انطلاقها ، وحتى عودتها ، وهذا الصندوق الأسود مقاوم لكل أنواع الانفجارات ، وفى حالة طائرة التجسس هذه ، سيحوى الصندوق الأسود كل ما التقطته الطائرة من معلومات وصور عن خطوطنا الدفاعية .

غمغم (أدهم) وقد فهم مهمته :

— سنعثر عليه ياسيّدى .

ابتسم مدير المخابرات لفطنة (أدهم) ، وقال :

— لن تكون وحدك من يفعل .. أو من يحاول أن يد

يا (ن ـ ١) .

ثم زفر فى قوة ، قبل أن يردف فى اهتمام وقلق :

— لقد أكّدت معلوماتنا أننا لم نكن أول هدف لطائرة التجسس هذه .. فلقد انطلقت من نقطة مجهولة ، لتحلق فوق الأراضى السوفيتية ، و(إيران) و(العراق) والجزء الشمالى من المملكة العربية السعودية ، ثم مصر ، حيث انتهت رحلتها بإسقاطنا لها ، وهذا يعنى أن صندوقها الأسود سيحمل بالضرورة بعض المعلومات عن هذه الدول ، وأن بعضها لن يفرّط فى تلك المعلومات ، التى قد تضرّ بأمنه .

بدأت المهمة تأخذ أبعادًا جديدة فى عينى (أدهم) ، وهو يغمغم فى اهتمام :

— ستكون المعركة عنيفة إذن .

هزّ مدير المخابرات رأسه ، وقال :

— فى اجتماع لوزراء الخارجية أمس ، قرّرت (العراق) و(السعودية) ترك هذا الأمر لمخابراتنا ، وعلى الجانب الآخر قرّرت (إيران) و(روسيا) إسناد الأمر للمخابرات السوفيتية (كى . جى . بى) ، ولقد اختارت (روسيا) لهذه المهمة أخطر وأشرس رجالها على الإطلاق .

ثم أردف في لهجة تؤكد خطورة الرجل :

ـــ اختارت (سيرجي كوربوف) .

تألقت عينا (أدهم) في جذل ، وتراقصت ابتسامة شبه ساخرة على شفتيه ، وهو يقول :

ـــ (الكوبرا)؟!.. لقد قرأت عن هذا الرجل كثيرًا في ملفاتنا يا سيِّدي .. ولقد تمنيت مواجهته دائمًا .

عقد مدير المخابرات حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ إنها ليست لعبة يا (ن ـــ ١) .. فالمخابرات السوفيتية لم تطلق على (سيرجي كوربوف) اسم (الكوبرا) عبثًا ، فهو يفوق تلك الحيَّة المخيفة شراسة وقوة، وهو بارد كثلوج (سيبيريا) ، التي ينتمي إليها ، قاسٍ كالفولاذ ، قويّ كالأسد ، حادُّ الذكاء .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول في سخرية :

ـــ إنه غريم مثاليّ يا سيِّدي .

مطَّ مدير المخابرات شفتيه ، وغمغم وهو يهزُّ رأسه :

ـــ يدهشني استهتارك بمثل هذا الرجل يا (ن ـــ ١) ، فستعملان هذه المرَّة في (يوجوسلافيا) ، وهو ينتمي إليها بأكثر منكما ، وسيزيده هذا قوة وشراسة .

نهض (أدهم) من مقعده ، وسأل في اهتمام :

ـــ ماذا تعني كلمة (ستعملان) هذه يا سيِّدي ؟ هل تراجعت (منى) في استقالتها ؟(*)

هزَّ مدير المخابرات رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ ستعمل مع زميل هذه المرَّة يا (أدهم) .

وسرت في ملامحه سحابة عابرة من قلق غامض ، وهو يستطرد :

ـــ الملازم (خالد) .. أحدث من انضمَّ إلى سلك المخابرات .

ثم وضع يده على كتف (أدهم) ، وأردف في لهجة عاطفية أدهشت هذا الأخير :

ـــ أريد منك أن تصنع منه رجل مخابرات لا يشق له غبار يا (أدهم) .

غمغم (أدهم) ، وهو يتفرَّس في وجه مدير المخابرات في اهتمام :

ـــ إنها مهمة مزدوجة إذن .

عقد مدير المخابرات حاجبيه ، وهزَّ رأسه نفيًا في قوة ، وهو يقول في صرامة :

(*) راجع قصة (شيطان المافيا) .. المغامرة رقم (٤٨) .

— لا .. إنها مهمة واحدة ، ستحاولان العثور على الصندوق الأسود فحسب .

سأله (أدهم) فى هدوء :

— مهما كان الثمن ؟!

ارتفع حاجبا مدير المخابرات فى انفعال واضح ، ثم عادت إليه صرامته ، وهو يجيب :

— نعم .. مهما كان الثمن .

ساد الصمت لحظة ، ثم قال (أدهم) فى هدوء :

— سنفعل يا سيّدى .. بإذن الله .

* * *



٢ — الزميلان ..

استنشق (أدهم) هواء (يوجوسلافيا) المائل إلى البرودة ، فى العاصمة (بلجراد) ، ثم التفت إلى الشاب الذى يجاوره ، والذى يستند فى هدوء إلى سور الكورنيش الأنيق ، المطلّ على نهر (الدانوب) وتأمّل فى ملامحه للمرة الثانية فى اهتمام ..

كان فى أوائل العشرينات ، وسيمًا مجعد الشعر ، قصيره ، له بشرة سمراء ، وعينان عسليتا اللون ، حليق الوجه ، طويل القامة ، ممشوق القوام ..

وكان يبدو هادئاً ، كأنه لا يدرى شيئاً عن خطورة مهمتهما ، مما جعل (أدهم) يسأله فى هدوء مماثل :

— أهى أول مهمة فعلية لك يا (خالد) ؟

أومأ (خالد) برأسه فى هدوء ، وأجاب فى بساطة :

— نعم .. لقد اجتزت كل الاختبارات بدرجة ممتاز ، وتلقيت تدريبات خاصة ، ومكثفة لمدة عام كامل فى مدرسة المخابرات ،

وبحثت فى كل المهام المدروسة ، التى قمت بها ، ولكنها أول مرة أعمل فيها على الطبيعة .

ابتسم (أدهم) ، وقال :

ـــ لقد قرأت تقاريرك كلها يا (خالد) ، وهى تبشر بمستقبل رائع فى عالم المخابرات ، ولكن ....

اعتدل وهو يستطرد فى اهتمام :

ـــ المهام الفعلية أمر مختلف ، فمن ستواجههم هذه المرة لن يكتفوا بكتابة التقارير ، كما كان يحدث فى المهام الوهمية ، ولن تكون رصاصاتهم من نوع (الفشنك) ، بل إنك ستواجه رجالًا لاتعرف قلوبهم الرحمة ، ورصاصات لن تتردّد فى اختراق جسدك ، إذا مالاحت لها منه ثغرة .

ابتسم (خالد) ، وهو يقول :

ـــ هل تحاول إخافتى بذكر هؤلاء الأشرار ؟

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ لايوجد أشرار فى عالم المخابرات يا (خالد) . فالكل أخيار ؛ لأنهم يقاتلون من أجل أوطانهم ، ولكن الشر قد يكمن فى أسلوب وطريقة القتال .

غمغم (خالد) فى ضجر واضح :

ـــ سأحاول دراسة ذلك ، حينما ننتهى من مهمتنا .

صمت (أدهم) لحظة ، وقد أثار أسلوب الملازم الشاب ضيقه ، ثم قال بلهجة حازمة :

ـــ حسنًا .. إننا لن نضيع وقتنا .. سنذهب فورًا إلى (سبلت) على ساحل البحر الأدرياتى ، فسنحتاج إلى الغوص ، بحثًا عن الصندوق الأسود .

اعتدل (خالد) ، وقال فى اهتمام :

ـــ هل تعتقد أن (الكوبرا) سيلجأ إلى ذلك أيضًا ؟

مطّ (أدهم) شفتيه ، وغمغم فى هدوء :

ـــ ليس وحده يا (خالد) .. ستواجهه جهازين للمخابرات على الأقل :

ثم أردف فى سخرية :

ـــ ستكون المعركة حامية الوطيس .

* * *

التقط رجل مربع الوجه ، عريض الفك ، أشقر الشعر ، قصيره ، زجاجة من الفودكا ، وصب منها القليل فى كوب كريستالى صغير ، ورفع الكوب إلى عينيه الزرقاوين الضيقتين ، وكأنه يبعث فيه بعضًا من برودتهما القاسية ، ثم تذوّقه بشفتيه ، قبل أن يعطيهما ، ويقول فى برود :



التقط رجل مربع الوجه ، عريض الفك ، أشقر الشعر ، قصيره ، زجاجة من الفودكا ، وصب منها القليل فى كوب كريستالى صغير .

— ليست كمثيلتها فى (موسكو) ، ولكن لا بأس بها .

أجابه شاب نحيل ، تشف لحيته الذهبية ، وملامحه الباردة عن أصله البلطيقى :

— إننى أحمل لك خبرًا مثيرًا أيها الرفيق (سيرجى) .

أدار إليه (سيرجى كورسوف) عينيه الباردتين كالثلج ، وقال فى هدوء عجيب ، دون أن تهتز خلجة واحدة فى وجهه الجامد :

— هل وصل رجل المخابرات المصرى إلى هنا ؟

ظهرت الدهشة على وجه الشاب النحيل ، وغمغم فى حيرة :

— نعم أيها الرفيق (سيرجى) .. لقد وصل إلى (سبلت) منذ دقائق ، وبصحبته شاب فى منتصف العشرينات ، هل تعلم من هو رجل المخابرات المصرى ، الذى كلفته المخابرات المصرية العثور على الصندوق الأسود ؟

ارتشف (سيرجى) بعض الفودكا فى هدوء ، وقال وكأنما الأمر لا يعنيه :

— دعنى أخمن يا عزيزى (ألكسندروف) .. إن العثور على الصندوق الأسود مهمة بالغة الصعوبة والتعقيد ،

فالصندوق يرقد هنا ، فى قرار البحر ، أمام شاطئ (سبلت) ، والسلطات اليوجوسلافية تبحث عنه فى اهتمام بالغ ، بعد أن التقطت أجهزتها انفجار الطائرة أمام سواحلها ، ونحن أيضًا نبحث عنه ، وكذلك مخابرات تلك الدولة المجهولة ، التى تخصها طائرة التجسُّس ، وهذا يحيل المهمة إلى بند المهام المستحيلة .. إذن فالرجل المناسب الوحيد لمثل هذه المهمة هو ذلك الذى انتهك حرمة الاتحاد السوفيتى مرتين فأسقط طائراتنا فى واحدة(*) ، وفرّ من معتقل (سيبريا) فى الثانية(**) ، وأعنى به (أدهم صبرى) .

هتف (ألكسندروف) فى مزيج من الدهشة والإعجاب :

ـ يا للشيطان !!.. هذا صحيح أيها الرفيق (سيرجى) .. كيف تعلم كل هذا ؟

لوّح (سيرجى) بكفه فى لامبالاة ، وكأن ذلك لايحتاج إلى تفسير ، فعاد (ألكسندروف) يسأل فى اهتمام :

ـ هل نعمل على التخلُّص منه ؟

ابتسم (سيرجى) ابتسامة بالغة الخفوت ، عادت بعدها ملامحه إلى برودها ، وهو يقول :

(*) راجع قصة (الجليد الدامى) .. المغامرة رقم (٥) .

(**) راجع قصة (القضبان الجليدية) .. المغامرة رقم (٤٥) .

ـ يالك من أحمق متعجل يا (ألكسندروف) !! إن (أدهم صبرى) سيبذل أقصى جهده للعثور على الصندوق الأسود ، وأنا واثق من أنه سيحصل عليه ، فلنتركه يفعل إذن ، وليقاتل هو ويناور ، وسنكتفى نحن بمراقبته فى دقة ، وسنحصى أنفاسه ، حتى يجد الصندوق ، وعندئذ ....

اكتفى بإشارة واضحة من يده ، تكمل عبارته ، فابتسم (ألكسندروف) ، وغمغم فى انبهار :

ـ نعم أيها الرفيق (سيرجى) ، سنتركه حتى يحوز الصندوق ، ثم نقتله ، ونحصل نحن على الصندوق الأسود .. هذا عظيم .. عظيم أيها الكوبرا

* * *

تطلّع (خالد) من نافذة حجرته بالفندق ، إلى شاطئ (سبلت) ، ومطّ شفتيه ، وهو يغمغم فى ضيق :

ـ المهمة تبدو للوهلة الأولى مستحيلة يا سيادة المقدم ، فالشرطة اليوجوسلافية تملأ الشاطئ ، وعمليات البحث عن حطام الطائرة لاتتوقف ، والتسلّل عبر كل هذا النطاق مستحيل ، بالنسبة لأجنبى مثلنا ..

ثم التفت إلى حيث يجلس (أدهم) ، وأردف فى اهتمام :

— أليس كذلك ؟

ولكن حاجبيه ارتفعا فى دهشة ، وهتف :

— يا إلهى !!.. كيف فعلت هذا ؟

كان (أدهم) قد أبدل ملامحه فى مهارة ، فاكتسب شعره لونًا ذهبيًا ، وتألقت عيناه بلون أزرق جميل ، وحملت شفتاه شاربًا كثًا ، من لون نفس الشعر ، وابتسم وهو يقول :

— لاتفغر فاك إلى هذا الحد يا (خالد) ، فهو تنكر بسيط للغاية .

لوّح (خالد) بكفه ، وهو يغمغم فى مزيد من الدهشة :

— ولكننى أدرت عينى عنك لعشر دقائق لاغير .

هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال فى لامبالاة :

— إنها تكفى وتزيد يا زميلى العزيز ، ألم أقل لك إنه تنكُّر بسيط للغاية .

ثم أردف باللغة اليوجوسلافية :

— أمامك الآن مواطن يوجوسلافى مخلص .

ضحك (خالد) ، وهو يقول بالعربية :

— ماذا تظن أننا سنفعل ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— سنغوص إلى أعماق البحر الأدرياتى يا زميلى العزيز ، وسنفعل ذلك فى منتصف الليل تمامًا .

سأله (خالد) فى اهتمام :

— وهل تعتقد أننا سنعثر على الصندوق الأسود ؟

هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال فى بساطة :

— سنحاول يا زميلى العزيز .

ثم تألقت عيناه جذلًا ، وهو يردف :

— وهناك من سيقودنا إليه .. أراهنك على ذلك .

* * *



٣ ـ أعماق الموت ..

انساب زورق صغير على مياه البحر الأدرياتى ، فى منتصف الليل تمامًا ، وغمغم (خالد) من فوقه فى قلق :

ـ إننا نخاطر مخاطرة كبيرة بهذا التصرف يا سيادة المقدم ، فلو أوقفنا خفر السواحل ...

قاطعه (أدهم) فى هدوء ، وهو يثبت منظار الغوص فوق عينيه :

ـ لا تقلق يا (خالد) .. إننا نبعد كثيرًا عن منطقة البحث ، وسنذهب إلى هناك غوصًا .

ثم أردف ، وهو يثبت أسطوانتى الأكسوجين خلف ظهره :

ـ ثم إننا لن نكون وحدنا هناك .

عقد (خالد) حاجبيه ، وهو يسأله :

ـ إنها ثانى مرة تكرر قولك هذا يا سيادة المقدم ، هل تعنى أن (سيرجى) سيغوص للبحث عن الصندوق الأسود أيضًا ؟

غمغم (أدهم) فى هدوء :

ـ لا يا (خالد) .. إننى لا أعنى (الكوبرا) ، بل أعنى أصحاب الصندوق الأسود الحقيقيين .

ازداد انعقاد حاجبى (خالد) ، وهو يغمغم :

ـ ماذا تعنى ؟

تنهد (أدهم) ، وهو يقول :

ـ إن أصحاب طائرة التجسس ـ أيًا كانوا ـ هم أول من سيبذل الجهد للحصول عليه ، ولا ريب أنهم يمتازون بمعرفة مواصفاته ، وقد يمتلكون جهازًا ما يرشدهم إليه .

ثم أشار إلى يخت صغير ، يبدو فى صعوبة على ضوء القمر ، وأردف :

ـ وهذا اليخت يقف هناك منذ الصباح ، وعلى متنه عدد من الرجال ، يتظاهرون بممارسة الصيد ، والاسترخاء على سطحه ، ولكننى واثق أنهم لا يفعلون ذلك الآن .

وأشار إلى سطح البحر ، وهو يستطرد فى سخرية :

ـ وقد نلتقى بهم هناك .

قال عبارته وقفز من الزورق ، ليغوص فى أعماق البحر ، فهز (خالد) رأسه ، وابتسم وهو يقول :

ـ يا لك من رجل !!

وتناول مصباحًا صغيرًا ، وأحكم وضع منظار الغوص على عينيه ، وتبع (أدهم) إلى الأعماق .

* * *

كان الماء باردًا كالثلج ، وأضيفت إليه تلك الرجفة ، التى سرت فى جسد (خالد) ، وهو يحاول جاهدًا اللحاق بـ (أدهم) فى الأعماق ، فى حين كان هذا الأخير يشق أعماق البحر فى سرعة ومهارة ، وكأنما وُلِد فى أعماقه ، مسترشدًا بضوء مصباحه الخافت ..

مضت نصف ساعة من بحث عقيم ، قبل أن يشير (أدهم) إلى (خالد) ، يدعوه للعودة ، وصعد كلاهما إلى السطح ، وأطفأ كل منهما مصباحه ، ثم غمغم (خالد) فى حنق :

— يبدو أننا لن نعثر عليه أبدًا .

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، وكأنما الأمر لا يعنيه وقال :

— ليس الأمر بهذه السهولة أيها الملازم ، فالبحث عن صندوق صغير مثل هذا ، وسط مساحة مائية شاسعة كتلك ، كالبحث عن إبرة فى كومة من القش .

مطّ (خالد) شفتيه ، وقال :

— سأصل إلى مرحلة الشيخوخة قبل أن نعثر عليه

ضحك (أدهم) ، وكأنما أعجبه التشبيه ، وقال :

— إنه لن ينتظر كل هذا الوقت أيها الملازم .

عقد (خالد) حاجبيه ، وغمغم فى ضيق :

— أعتقد أن الأمر لا يحتمل المزاح يا سيادة الـ ....

وفجأة جذبه شىء ما من قدمه ، ووجد نفسه يغوص دفعة واحدة إلى الأعماق ، ثم غمر وجهه ضوء مصباح مائى ، ورأى خنجرًا حادًا يتجه إلى عنقه .

* * *

كانت هذه هى أول لحظة يواجه فيها (خالد) خطرًا حقيقيًا ، منذ انضمامه إلى المخابرات العامة ، ولكن سرعة استجابته جاءت مناسبة للغاية ، فقد غاص بجسده إلى الأعماق ، متفاديًا نصل الخنجر ، ودفع قبضته فى الجسد الأسود ، الذى يمسك بساقه ، ثم قبض على المعصم الذى يمسك الخنجر ، ولواه فى قوة ، فأجبره على ترك السلاح القاتل ..

ولم يكن الضفدع البشرى الذى يواجهه من الهواة ..

لقد ضرب وجه (خالد) بمصباحه ، وقبض على عنقه فى قوة ، وقطع الأنبوب الذى يمده بالهواء ..

قاوم (خالد) فى قوة ، ورأى على ضوء المصباح مشهدًا عجيبًا ..

لقد رأى رجلين فى ملابس الضفادع البشرية ، يحاولان جذب (أدهم) إلى الأعماق ، بعد أن انتزعا منه أسطوانتى الأكسوجين ، ولكن (أدهم) لوى ذراع أحدهما ، وجذب الآخر من عنقه فى قوة ..

وابتعد ضوء المصباح عن (أدهم) وغريميه ، حينما جذب خصم (خالد) هذا الأخير ، محاولًا الغوص به إلى أعمق الأعماق ، ليختنق ، بعد أن فقد مصدر الهواء .

وقاوم (خالد) فى عنف ، ولكن نقص الهواء جعله يشعر بدوار شديد ، وبرئتيه تكادان تنفجران ، وتراخت قبضته ، وانتابه شعور من اليأس والسخط ..

وفجأة تراخت ذراع الرجل حول عنقه ، وغمره ضوء مصباح ثان ، ووجد نفسه حرًّا ، فدفع قدميه فى الماء ، وصعد إلى السطح فى سرعة ، واستنشق كمية كبيرة من الهواء النقى ، وهو لا يصدق أنه قد نجا ..

وارتفعت بقعة ضوء إلى جواره ، فتحفز للقتال مرّة أخرى ، ولكنه رأى وجه (أدهم) يبرز من الماء ، وسمعه يقول فى سخرية :



ووجد نفسه يغوص دفعة واحدة إلى الأعماق ، ثم غمر وجهه ضوء مصباح مائى ، ورأى خنجرًا حادًا يتجه إلى عنقه ..

— كم هى قاسية حياة الأسماك !!

تطلّع إليه (خالد) فى دهشة ، وهتف :

— ماذا حدث ؟.. من هؤلاء الرجال ؟

هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال :

— لست أدرى أيها الملازم .. لقد كانوا ثلاثة من الضفادع البشرية فحسب .

سأله (خالد) فى توتّر :

— كانوا ؟!

مطّ (أدهم) شفتيه ، وقال فى ضيق واضح :

— نعم .. لقد أرادوا قتلنا ، وقتلهم كان دفاعا عن النفس .

ارتفع حاجبا (خالد) ، وهو يقول :

— إذن فأنت الذى أنقذت حياتى ؟!.. يا إلهى !!.. لقد تغلّبت وحدك على الرجال الثلاثة ، على الرغم من فقدك أسطوانتى الأكسوجين .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وقال :

— حذار أن تفخر بالقتل يا (خالد) ، فهو شىء بغيض ، وأنا لا ألجأ إليه إلا مضطرًا

ثم أردف فى صرامة :

— المهم أننا قد تأكدنا الآن من تورط هذا اليخت فى الأمر ، وأعتقد أننا سنذهب لزيارته ، وأراهنك أنه سيقودنا إلى الصندوق الأسود فى يسر .

* * *



٤ ـ اليخت ..

أشعل رجل ضخم الجثة سيجارته فى عصبية واضحة ، وقال فى توتر ، وهو يتطلع إلى البحر المظلم ، من فوق سطح اليخت :

ـ لماذا لم يعد الرجال حتى هذه اللحظة ؟.. قد حددنا موقع الصندوق الأسود فى دقة ، ولم يكن أمامهم إلّا الذهاب ، والعودة به إلى هنا .

أجابه آخر بالغ الطول :

ـ لا تقلق يا عزيزى .. إنها مهمة بسيطة ، ونحن الوحيدون الذين يمكنهم العثور على الصندوق .. فلقد أضفنا إليه ذلك الجهاز الصغير ، الذى يطلق إشارة كل ساعة .

ثم ابتسم فى فخر ، وهو يقول :

ـ هذا هو مصدر قوتنا يا صديقى .. إننا نستعد لكل الاحتمالات .

عقد الضخم حاجبيه ، ونفث دخان سيجارته فى عصبية ، وهو يقول :

ـ لقد سئمت هذا العمل .

رفع الطويل حاجبيه ، فى دهشة ، وقال :

ـ ولكننا نربح منه الكثير يا صديقى ، ولا بأس فى المقابل من بعض الخطر .

ألقى الضخم سيجارته فى عصبية ، وصاح :

ـ هل تسمّى هذا بعض الخطر ؟!.. هل تعلم ماذا يمكن أن يحدث ، إذا ما انتبهت السلطات اليوجوسلافية إلى ما نفعله ؟.. سنحاكم بتهمة التجسُّس ، وسيكون مصيرنا الإعدام .

امتقع وجه الطويل ، وغمغم وهو يتحسّس عنقه :

ـ أنت متشائم يا صديقى ، لقد حصلنا على تصريح من السلطات اليوجوسلافية بالصيد ، وسيبرّر هذا أى .....

قاطعه صوت ساخر ، يقول فى هدوء :

ـ هناك ما هو أخطر من السلطات اليوجوسلافية أيها الوغد .

التفت الرجلان فى ذعر ودهشة إلى مصدر الصوت ، فطالعهما (أدهم) و(خالد) فى ثياب الغوص ، وفى أيديهما مسدسان قويّان .

* * *

اتسعت عينا الطويل فى ذهول ، فى حين شحب وجه الضخم فى قوة ، وتراجع ووجهه يمثل الرعب بأبشع صوره ، كمن رأى الشيطان نفسه ، وابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـ قبل أن نبدأ تعاملنا ، أحب أن أعرف إذا ما كنا سننتهى من تفاوضنا بصورة سلمية ، أم أننى سأضطر لثقب رأس أحدكما والتفاوض مع الآخر .

ظل الضخم يحدق فى وجه (أدهم) برعب هائل ، فى حين قال الطويل بصوت مرتجف :

ـ ماذا تريد منا أيها السيد ؟ إننا سياح مسالمون و .....

كان يتحدث الإنجليزية ، مما جعل (خالد) يقول فى حدة ، مقاطعًا إياه :

ـ كفى أيها الوغد ، إننا لن نضيع الوقت فى مهاترات لا معنى لها .. نحن نعلم أنكما هنا من أجل الصندوق الأسود ، وهناك ثلاثة من رجالكم يرقدون فى عمق البحر ، بعد أن عجزوا عن العثور عليه .

ظهر غضب هائل على وجه الطويل ، وهتف :

ـ فى عمق البحر !؟

شعر (أدهم) بالضيق ؛ لأن (خالد) كشف الأوراق بهذه السرعة ، ولكنه كتم ضيقه ، وهو يقول :

ـ والآن من منكما سيخبرنا عما نريد ؟

تراجع الضخم بمزيد من الرعب ، فى حين قال الطويل فى سخط :

ـ أحسنتما بكشف الأوراق على هذا النحو أيها السيدان ، ولكننى أحب أن أخبركما أن مهمتكما فاشلة .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ هكذا !؟.. ومن يضمن لك ذلك ؟

تلاشى الغضب بغتة من وجه الضخم ، وبرقت عينا الطويل فى ظفر ، وارتفع من خلف (أدهم) و(خالد) صوت غليظ يقول :

ـ نحن نضمن ذلك أيها الرجل .

استدار (أدهم) و(خالد) فى حدة وتحفز للقتال ، ولكنهما توقفا بغتة ؛ حينما رأيا أكثر من عشرة رجال ، يصوبون إليهما مسدساتهم ، من أماكن متفرقة على سطح اليخت ، على نحو لا يسمح لهما بالمقاومة أبدًا ؛ فرفع (أدهم) ذراعيه فى هدوء ، وهو يقول فى سخرية :

ـ حسنًا .. لقد انتصرتم فى هذه الجولة و ....
صاح الضخم فجأة ، محدّثًا الطويل :
ـ أطلق النار عليهما يا (جان) .. أطلق النار عليهما فورًا
عقد (جان) حاجبيه ، وهو يقول فى حِدّة :
ـ مهلًا يا (أنطوان) .. لابد من معرفة هويتهما أولًا .
هتف الضخم فى توتّر بالغ :
ـ لن نحتاج إلى ذلك يا (جان) .. إنهما يعملان لحساب المخابرات المصرية .
ارتفع حاجبا (خالد) فى دهشة ، وعقد (أدهم) حاجبيه فى تساؤل ، ولكنّ دهشتهما قفزت إلى ذروتها ، حينما استطرد الضخم فى حدّة :
ـ وهذا الأكبر سنًا هو أخطر رجال المخابرات المصرية كلها ، بل أخطر رجل مخابرات فى العالم كله .. ألم تعرفه ؟..
إنه (أدهم) .. (أدهم صبرى) !!

* * *

كان وقع ذلك التصريح ، الذى ألقى به (أنطوان) كالقنبلة ، فقد اتسعت عينا (جان) ، وارتعدت أطرافه ،

وهو يحدّق فى وجه (أدهم) ، وسرت همهمة عجيبة بين الرجال العشرة ، وهم يصوّبون أسلحتهم فى ذعر إلى رجل المستحيل ، فى حين غمغم (خالد) فى دهشة :
ـ عجبًا !!.. يبدو أنك تمتلك شهرة واسعة ـ بعكس المألوف ـ فى عالم المخابرات يا سيادة المقدم .
أشار (أدهم) إلى (جان) و(أنطوان) وقال فى سخرية :
ـ نعم يا زميلى العزيز ، وبالذات وسط رجال (الموساد) .
عقد (جان) حاجبيه ، وغمغم فى دهشة :
ـ (الموساد) ؟!
ثم ابتسم ، وهو يردف فى شراسة :
ـ كلّا أيها الشيطان المصرى ... لقد أخطأت تعرّفنا .. صحيح أننا نعرفك جيدًا ، ولكننا لا ننتمى إلى (الموساد) .
قال (أدهم) فى اهتمام :
ـ إلى أية جهة تنتمون إذن أيها الـ ....؟
وفجأة بتر عبارته ، وحدّق فى نقطة ما خلف (جان) و(أنطوان) ، وهتف فيما يشبه الذهول :

— يا إلهي !!.. ما هذا ؟
استدار الرجال كلهم في صورة غريزية ، إلى النقطة التي يحدّق فيها (أدهم) ثم تنبهوا في آن واحد إلى خدعته البسيطة ، حينما اصطدمت عيونهم بفراغ مظلم ، فعادوا بأبصارهم وأسلحتهم إلى (أدهم) و(خالد) ..
ولكن بعد فوات الأوان ..
لقد قفز (أدهم) يسارًا ، وحطّم فك أحد الرجال العشرة بقبضته ، وهشّم أنف الثاني ، وغاصت قدمه في معدة الثالث ، وركلت الأخرى وجه الرابع .
وقفز (خالد) إلى اليمين ، ولكمَ أحد الرجال في عنقه، ودار على عقبيه ليلكم الثاني في معدته ..
وهنا يتجلى الفارق بين الرجلين ..
فلم يكد (خالد) ينتزع قبضته اليسرى من معدة الرجل الثاني ، حتى سمع (أدهم) يقول في صرامة :
— لقد انتهى القتال أيها السادة .
التفت إليه (خالد) في دهشة ، وسرعان ما تحوّلت دهشته إلى ذهول ، حينما استبان له الموقف ..
كان الرجال العشرة فاقدي الوعي ، و(أدهم) يصوّب

مسدسه إلى (جان) و(أنطوان) ، اللذين ألقيا مسدسيهما ، وتراجعا في رعب أمامه ..
وهتف (خالد) في ذهول :
— يا إلهي !!.. هل هزمت ثمانية رجال بمفردك ؟
لم يحاول (أدهم) الإجابة عن سؤاله ، وإنما اقترب من (جان) و(أنطوان) وسألهما في حزم مخيف ، جمّد الدم في عروقهما :
— أين الصندوق الأسود ؟
صاح (أنطوان) في رعب :
— إنه هناك ، في أعماق البحر ، وهو يرسل إشارة منتظمة كل ساعة ، ولدينا هنا جهاز يلتقط إشاراته ، ويحدّد موضعه .
جذب (أدهم) إبرة مسدسه ، وصوّبه إلى رأس (جان) ، وهو يسأل :
— وأين هذا الجهاز ؟
شحب وجه (جان) ، وقال في توتّر وخوف :
— اترك الصندوق يا مستر (أدهم) ، وسندفع لك مليون دولار .
ابتسم (أدهم) في سخرية ، وقال في صرامة :

جذب (أدهم) إبرة مسدسه .. وصوّبه إلى رأس (چان) ، وهو يسأل : ـــ وأين هذا الجهاز ؟

ـــ ما رأيك فى مليون رصاصة ؟

ازداد شحوب وجه (چان) ، وعاد يغمغم فى صوت مرتجف :

ـــ صدقنى يا مستر (أدهم) .. منظمتنا سخية للغاية .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يسأله :

ـــ منظمتكما ؟!.. إلى أية منظمة تنتميان ؟

جاءته الإجابة من مصدر آخر ..

مصدر شديد البرودة ..

كان صوت (سيرچى كوربوف) يقول :

ـــ ألم تعرف بعد ؟.. إنهما ينتميان إلى منظمة أهدرت كرامتها أكثر من مرة أيها الرفيق (أدهـــم) .. منظمـــة (سكورپيون) .

* * *



٥ ــ الروس قادمون ..

اتسعت عينا (خالد) فى دهشة ، وهو ينقلهما بين رجال المخابرات السوفيتية ، الذين امتلأ بهم اليخت بغتةً ، وتركّز بصره فى النهاية على (سيرجى كوربوف) ، الذى بدا باردًا كالثلج ، وهو يصوّب إليهما مسدسه ، فى حين ابتسم (أدهم) فى لامبالاة ، وقال :

ــ مرحبًا بك على ظهر اليخت يا عزيزى (الكوبرا) .

ازدادت عينا (سيرجى) الزرقاوان ضيقًا ، وهو يغمغم فى برود :

ــ أرى أن كلينا يعرف الآخر جيّدًا أيها الرفيق (أدهم) .

هزّ (أدهم) كتفيه فى استهتار مثير ، وهو يقول :

ــ لقد قرأت عنك الكثير يا لوح الثلج .

ثم أشار إلى (چان) و(أنطوان) ، اللذين بلغ منهما الذعر مبلغه ، وأردف فى تهكم :

ــ ولكن يبدو أنك تعرف هذين الوغدين أكثر منى .

لاح شبح ابتسامة على شفتى (سيرجى) ، وقال :

ــ إننى أعرف رجال (سكورپيون) واحدًا واحدًا أيها الرفيق (أدهم) ، وأحفظ صورهم عن ظهر قلب ، ولقد أسأت أنت اختيار أسلوب التعامل معهم .

ثم اقترب فى خطوات هادئة من (چان) و(أنطوان) ، ورفع مسدسه فى وجهيهما ، وهو يستطرد فى برود :

ــ لقد اعترفا بوجود جهاز يمكنه قيادتنا إلى الصندوق الأسود ، ولكنك لم تحسن إقناعهما بإعطائك إياه .

شعر (خالد) برجفة تسرى فى أوصاله ، وعقد (أدهم) حاجبيه ، حينما تحوّل صوت (سيرجى) إلى كتلة من الصرامة والحزم ، وهو يسأل رجلى (سكورپيون) :

ــ أين الجهاز ؟

عاد (چان) يقول فى لهجة ضارعة مرتجفة :

ــ اسمعنى أيها الرفيق (سيرجى) .. ستدفع لك منظمتنا مليونى دولار ، لو أنك ..

قاطعه (سيرجى) فى صرامة :

ــ يبدو أنكما تحتاجان إلى أسلوب خاص فى التعامل . أيكما يعلم مكان الجهاز ؟

هتف (أنطوان) في ذعر :

— (چان) هو المسئول عن ذلك ، أنا لا أعلم شيئاً .

ابتسم (سيرجى) في برود ، وقال :

— لا فائدة لك إذن .

وفي هدوء شديد ، وبرود كالثلج ، أطلق رصاصة من مسدسه المزوّد بكاتم للصوت، وجحظت عينا (أنطوان)، وتدفق الدم من ثقب مستدير في جمجمته ، وترنح لحظة ، ثم ارتطم بحاجز اليخت ، وسقط في البحر جثة هامدة .

أشاح (خالد) بوجهه في اشمئزاز ، في حين قال (أدهم) في حدة :

— إنه أسلوب خسيس أيها الكوبرا .

أجابه (سيرجى) في برود :

— هذا هو الأسلوب الوحيد للتعامل مع هؤلاء الأوغاد ، أيها الرفيق (أدهم) .

هتف (أدهم) في غضب :

— ولكنك تطلق النار على رجال عزّل .

هزّ (سيرجى) كتفيه في لامبالاة ، وأدار فوهة مسدسه إلى (چان) ، الذى صاح في رعب :

— لا أيها الرفيق .. أرجوك .

عاد (سيرجى) يسأله في صرامة :

— أين الجهاز ؟

لوّح (چان) بكفه ، وهتف في صوت كالبكاء :

— إنك لن تقتلني .. أليس كذلك ؟.. أنا الوحيد الذى يعلم أين الجهاز ، ولن يمكنك أن .....

جاء جواب (سيرجى) على هيئة رصاصة أخرى صامتة ، حطمت ركبة (چان) ، الذى سقط أرضاً، وهو يصرخ وينوح ، في حين عاد (سيرجى) يقول في صرامة :

— هناك أكثر من وسيلة لإجبار كلب مثلك على البوح بما لديه .

صرخ (چان) في رعب وألم :

— لا .. لا .. ها هو ذا .

وانتزع ساعة يده في ذعر ، وناولها لـ (سيرجى) ، وهو يقول في توسّل :

— هذا هو الجهاز .. سيعطى إشارة بعد عشر دقائق .. الرحمة !! أرجوك .

شعر (أدهم) بعضلاته تتحفز ، وهو يرى الجهاز في يد (سيرجى) ، الذى تأمله في هدوء ، وغمغم :

ـ إذن فهذا هو الجهاز الخطير .

ثم رفع مسدسه إلى رأس (جان) ، وأردف فى هدوء شديد :

ـ انتهت مهمتك أيها الوغد .

صرخ (جان) فى رعب :

ـ لا .. لا ..

ولكن رصاصة (سيرجى) أخمدت صرخته ، وفجّرت كل الغضب والاشمئزاز فى أعماق (خالد) ، فقفز نحو (سيرجى) ، وهو يصرخ :

ـ إنك لن تحصل عليه أبدا .

مال (سيرجى) فى مهارة ، متفاديًا لكمة (خالد) ، ثم اعتدل فى سرعة ، وأطلق رصاص مسدسه على هذا الأخير ..

حاول (أدهم) أن يقفز لحماية زميله ، ولكنه تلقى ضربة قوية على مؤخرة عنقه ، جعلته يترنح ، ويسقط أرضًا ، فى حين اتسعت عينا (خالد) ، وشعر بألم رهيب ، فى صدره ، وحاول أن يتشبث بحاجز اليخت ، ولكن يده أفلتت ، وسقط إلى أعماق البحر البارد ..

نهض (أدهم) فى بطء ، وتألقت عيناه بمزيج من الغضب والصرامة ، وهو يقول :

ـ ستدفع ثمن ذلك أيها الكوبرا .

ابتسم (سيرجى) فى استهتار ، وقال :

ـ لا داعى للمكابرة أيها الرفيق (أدهم) ، لقد خسرت معركتك هذه المرّة ، ولا مفرّ أمامك من الاعتراف بتفوّق (سيرجى كوربوف) .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ أنت وغد أيها الكوبرا .

ظهر الغضب لحظة على وجه (سيرجى) ، ورفع فوّهة مسدسه نحو (أدهم) ، ولكن الجهاز الصغير فى راحته أطلق أزيزًا متصلًا ، انتزعه من غضبه ، فهتف فى ظفر :

ـ ها هو ذا الجهاز الصغير يفصح عن أسراره .. لن تمضى دقائق ويكون الصندوق الأسود فى حوزتنا .. لقد انتصرت المخابرات السوفيتية هذه المرّة أيها الشيطان المصرى .

* * *



٦ — حياتى لمصر ..

إذا كان عالم المخابرات كالغابة ، وكان (سيرجى كوربوف) يملك شراسة الكوبرا وخطورتها ، فـ (أدهم صبرى) يملك شجاعة الأسد ، وذكاء الثعلب ، وعناد الفهد ..

لقد كان (سيرجى) يمسك فى راحته بالجهاز الصغير ، الذى يرشد حائزه إلى مكان الصندوق الأسود ، الذى يحمل من المعلومات ما يهز بأمن مصر ..

وكان هناك خمسة عشر رجلاً من المخابرات السوفيتية ، يصوّبون مسدساتهم إلى (أدهم) وأصابعهم لن تتردّد فى إطلاق النار عليه ..

وكان النصر مستحيلاً ..

ولكن (أدهم) ليس بالرجل الذى يستسلم للهزيمة ، مهما كانت العقبات والمعوّقات ..

وكانت هناك عبارة تدوّى فى أذنيه ..

عبارة تبادلها مع مدير المخابرات المصرية ، قبل أن ينطلق فى مهمته ..

لن يتعرّض أمن مصر للخطر ، مهما كان الثمن ..

وفى أعماق (أدهم) ، تردّد هتاف حاسم حازم ..

لن تضار مصر ..

حياتى لمصر ..

وتحرّك (أدهم صبرى) ..

تجاهل المسدسات المصوّبة إلى رأسه ..

تجاهل الخطر الذى يحيط به ..

تجاهل سلامته وحياته ..

وفى سرعة مذهلة ، وبراعة منقطعة النظير ، دفع (أدهم) مرفقه ، ليغوص فى معدة الرجل الذى يقف خلفه ، ودار على عقبيه ليركل مسدسه ، ويلكم رجلاً آخر ، ثم قفز عاليًا مفاديًا عشر رصاصات صامتة ، انطلقت فى آن واحد ، وعاد يهبط على قدميه ، وأطلق رصاصة واحدة ، من المسدس الذى التقطه فى الهواء ..

رصاصة أصابت الجهاز الصغير فى يد (سيرجى كوربوف) ، وحطّمته تمامًا ..

* * *

لم تكن المعركة لتنتهى عند هذه النقطة ..

وكان (أدهم) يعلم ذلك ..

وانطلقت عدة رصاصات نحوه ، وأطلق هو أربع رصاصات من مسدسه ، وأسقطت رصاصاته أربعة رجال ، وأصابته رصاصة فى كتفه ، وأخرى فى فخذه ، وطاشت الرصاصات الأخرى ، ثم أطارت رصاصة (سيرجى) مسدس (أدهم) ، واندفع صوته يصرخ بالروسية :

ـ أريده حيًّا .. أريده أن يذوق انتقام الكوبرا .

واندفع الأحد عشر رجلاً الباقين نحو (أدهم) ، ولكمَ هو أحدهم ، وحطَّم فك الثانى ، ثم أطبق عليه الباقون ، وشعر بضربتين قويتين على رأسه ، ومؤخرة عنقه ، وحاول أن يقاوم الدُّوار الشديد ، ويواصل قتاله فى بسالة ، ولكن جسده المنهك أبى أن يواصل وانهار تحت وطأة الضربات ، التى انهالت عليه فى شراسة ووحشية ..

وسقط (أدهم) فاقد الوعى ، بين أعدائه ، وتطلَّع إليه (سيرجى كوربوف) فى صرامة وغضب . وسمع أحد رجاله يقول :

ـ ماذا نفعل به أيها الرفيق القائد ؟

رفع (سيرجى) عينيه الباردتين إلى رجاله ، وقال فى برود حازم :

ـ سنصحبه معنا إلى مقرنا فى (بلغراد) ..

ثم أردف فى صوت ينبئ عن غضبه :

ـ سأجعله يدفع ثمن تحطيم الجهاز .

ارتجف الرجل على الرغم منه ، وغمغم :

ـ واليخت ؟!

مطَّ (سيرجى) شفتيه ، وقال فى صرامة :

ـ سننسفه .. سننسف كل شىء وقف فى طريقنا .

* * *

استعاد (أدهم) وعيه فى بطء ، وشعر بآلام مبرِّحة فى كتفه وفخذه المصابين ، وحاول أن يرفع يده ، ليمسح بعض العرق المتصبِّب على جبينه ، ولكن يده بدت ثقيلة ، ولم يلبث أن تبين أنها مقيَّدة فى قوَّة وإحكام إلى جواره ..

وقبل أن يفتح عينيه ، بدأ يدرك وضعه ..

كان يرقد على فراش صغير ، قيِّدت إليه قدماه ، ويداه ، وضمَّد بعضهم جراح كتفه وفخذه ، وكان هناك شخص ما يقف أمامه ، ويحرِّك قدميه فى عصبية واضحة ..

وفتح (أدهم) عينيه ، وطالعه وجه (سيرجى) البارد ، وهو يتطلَّع إليه بعينيه الزرقاوين الجامدتين ، فابتسم (أدهم) ابتسامة ، أودعها كل ما ساعده عليه ضعفه من سخرية ، وغمغم فى تهكُّم :



كان يرقد على فراش صغير ، قيدت إليه قدماه ، ويداه ، وضمد بعضه
جراح كتفه وفخذه ، وكان هناك شخص ما يقف أمامه ..

ـ يا إلهى !! .. أين أنا ؟ .. أهو عرين الكوبرا ؟
مط (سيرجى) شفتيه فى برود ، وأجاب فى هدوء :
ـ نعم أيها الشيطان المصرى .. إنه عرين الكوبرا ، ألايمكنك التوقف عن السخرية أبدًا ؟
ازدادت ابتسامة (أدهم) تهكمًا ، وهو يقول :
ـ صدقنى يا لوح الثلج ، إننى أقاوم رغبتى الشديدة فى الضحك .
ابتسم (سيرجى) ، وكأن دعابة (أدهم) قد أعجبته ، ثم لوّح بكفه ، وهو يقول فى هدوء :
ـ يبدو أنك لاتدرك حقيقة موقفك جيدًا أيها الشيطان المصرى .. إنك هنا تحت رحمة الكوبرا ، وأنا لن أتردد فى تمزيقك إربًا ، إذا ما أردت ذلك .
أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة قصيرة ، وقال :
ـ يا إلهى !! .. إننى أرتجف خوفًا .
مط (سيرجى) شفتيه مرة أخرى ، ثم جذب مقعدًا ، وجلس إلى جوار فراش (أدهم) ومال بوجهه نحوه ، وهو يقول :
ـ اسمع أيها الشيطان المصرى .. لقد تصرفت بحماقة ،

وحطّمت الجهاز الوحيد ، الذى كان يمكنه أن يقودنا إلى الصندوق الأسود، وبذلك خسرت دولتانا فرصة إنقاذ أسرارها ، وأصبحت تلك تحت رحمة من يعثر ــ ولو بالصدفة ــ على الصندوق ، وجعلتنى أفشل لأول مرّة فى حياتى ، ولن أغفر لك هذا .

غمغم (أدهم)) فى تهكّم :

ــ هل ستقطع رقبتى ؟

هزّ (سيرجى) رأسه نفيًا فى هدوء ، وقال :

ــ لو أننى أريد قتلك ما انتظرت حتى الآن أيها الشيطان المصرى .. إن قتلك لن يشفى غليلى .

ثم عاد يميل بوجهه نحو (أدهم) ، وهو يستطرد فى غضب :

ــ إننى أهدف إلى تحطيمك تمامًا ، والقضاء على سجلك المشرّف ، ومحو مستقبلك فى عالم المخابرات .

والتقط من جواره محقنًا ، يمتلئ بسائل أصفر اللون ، واختبره بالضغط عليه فى هدوء ، فابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ــ هل ستحقننى بمصل الحقيقة ؟

مطّ (سيرجى) شفتيه ، وعقد حاجبيه ، وقال وهو يكشف ذراع (أدهم) :

ــ (بنتوثال الصوديوم) ؟!.. كلا أيها الشيطان المصرى.. إنها وسيلة قديمة، لم تعد تجدى فى أيامنا هذه، فكل رجال المخابرات تقريبًا يتناولون جرعة مضادة له، طويلة المفعول قبل أن يخرج الواحد منهم فى مهمة تنطوى على بعض الخطورة .

ثم هزّ كتفيه ، وأردف فى سخرية :

ــ وبمَ سيفيدنى ما لديك من أسرار ؟ ألم أقل لك إننى أنوى تحطيمك تمامًا ..

أثارت كلمات (سيرجى) قلق (أدهم) ، فكفّ عن سخريته وأصغى إليه فى اهتمام ، فى حين أشار (سيرجى) إلى السائل الأصفر ، وهو يستطرد فى صرامة :

ــ هذا السائل أخطر من مصل الحقيقة أيها الشيطان المصرى ، بل أخطر من كل السموم المعروفة فى هذا العالم ، فهو لا يقتل ولكنه يدمّر تدميرًا ..

واقترب بعينيه الباردتين من عينى (أدهم) ، وهو يتابع فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ــ إنه (الكوكايين) أيها الشيطان المصرى ، أبشع مخدر معروف فى العالم .

ارتجف جسد (أدهم) على الرغم منه ، وهو يقول فى غضب :

ـ أنت وغد حقير .

أطلق (سيرجى) ضحكة بالغة القصر ، وقال :

ـ ستتحوّل إلى مدمن بعد حقنتين من (الكوكايين) أيها البطل ، وستركع على ركبتيك طلبًا للثالثة ، ولن تصلح بعد الرابعة للعمل فى المخابرات المصرية ، ولا حتى لبيع أوراق اليانصيب على المقاهى .

قال (أدهم) فى غضب :

ـ من الواضح أنك تعلم الكثير عن مصر والمصريين أيها الوغد .

ابتسم (سيرجى) فى هدوء ، وقال :

ـ بالطبع يا رجل المخابرات المصرى ، إننى أعلم أكثر مما سيبقى فى ذاكرتك ، بعد أن تتحوّل إلى مدمن بائس .

ثم أردف فى سخرية مريرة :

ـ الوداع لحياة المخابرات ، أيها الشيطان المصرىّ .

وغرز إبرة المحقن فى ذراع (أدهم) ، ودفع بالسم إلى عروقه .

* * *

الفصل الثانى

نهاية بطل

١ ــ وضاع الأثر ..

دفع مدير المخابرات المصرية التقارير التى أمامه ، ورفع عينيه إلى (قدرى) ، يسأله فى اهتمام شديد :

ــ أما من أخبار جديدة يا (قدرى) ؟

هزّ (قدرى) رأسه نفيًا فى حزن واضح ، ولوّح بكفيه ، وهو يقول :

ــ لا ، للأسف ياسيّدى .. لقد فقدنا أثر (أدهم) و(خالد) تمامًا ، منذ عشرة أيام ، وعجزنا عن العثور عليهما تمامًا .

زفر مدير المخابرات فى حزن وانفعال ، وغمغم :

ــ وماذا عن (سيرجى كورينوف) ؟

تنهّد (قدرى) ، وقال :

ــ إنه لم يغادر (يوجوسلافيا) بعد ، ولكن السلطات اليوجوسلافية أعلنت وقف عمليات البحث عن الصندوق الأسود ، دون أن تشير إلى عثورها عليه أو عدمه .

نهض مدير المخابرات من خلف مكتبه فى توتر ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يقول :

ــ هل تظن أنهما قد .. قد قتلا ؟

هزّ (قدرى) رأسه فى حزن ، وقال :

ــ أدعو الله (سبحانه وتعالى) ألا يكون قد أصابهما مكروه ياسيّدى ، ولكن الصحف اليوجوسلافية تشير إلى انفجار تحت مجهول ، أمام سواحل (سبلت) ، وقد ....

أعجزه الحزن عن إتمام عبارته ، ولكن مدير المخابرات فهم مايعنيه ، فأطرق برأسه ، وغمغم فى حزن :

ــ فليفعل الله مافيه الخير .. وليرحمنا جميعًا .

* * *

فتح الملازم (خالد) عينيه فى تثاقل ، ولكنهما لم يلبثا أن اتسعتا عن آخرهما ، وهو يحدّق فى وجه الرجل الواقف أمامه ، وفى جدران الحجرة التى يرقد داخلها ، وهتف فى دهشة :

ــ أين أنا ؟

أجابه الرجل ذو الشارب الكث ، الذى يقف أمامه فى هدوء :

ــ تحدث اليوجوسلافية أيها الشاب ، أو الإنجليزية على الأقل ، فلا أحد هنا يتحدّث لغتك العربية .

مرت لحظة من الدهشة ، قبل أن يكرّر (خالد) بالإنجليزية :

ـ حسنًا .. أين أنا ؟

مطّ الرجل شفته السفلى ، وأجاب في هدوء :

ـ أنت هنا في مستشفى الشرطة في (بلغراد) ، ولقد عثرنا عليك مصابًا برصاصة في صدرك ، ومرتديًا لباس الغوص ، على شاطئ (سيلت) ، حينما كنا نحقق في حادث انفجار يخت مملوك لبعض السياح ، ولقد عثرنا أيضًا على جثث ثلاثة قتلى في لباس الغوص ، وأعتقد أنك تدين لنا بتفسير .

أشاح (خالد) بوجهه ، وغمغم :

ـ لست أملك أية تفسيرات .

احتقن وجه الرجل ، وغمغم في صرامة :

ـ اسمع يا فتى .. إننا لا نهزل أو نعبث هنا ، لقد اقترن عثورنا عليك في هذه الحالة بعمليات بحثًا عن حطام طائرة مجهولة ، انفجرت أمام سواحلنا ، ولو لم تقدم لنا تبريرًا معقولاً عن وضعك ، فسنوجه إليك تهمة التجسس ، وسيكون مصيرك الإعدام .

قال (خالد) في صرامة :

ـ افعل ما بدا لك .. إنني لا أملك أية تفسيرات .

عقد الرجل حاجبيه في شدة ، وصاح بملء فيه :

ـ أيها الحارس .

جاء الحارس إثر النداء ، فقال الرجل ، وهو ينظر إلى (خالد) في صرامة :

ـ ضع مزيدًا من الحراسة على حجرة هذا الشاب ، ومر الجميع بإطلاق النار مباشرة ، إذا ما بدرت منه أية محاولة للهرب .

ولدهشة (خالد) ، أجاب الحارس في سخرية :

ـ أليس ذلك مبالغة في الحذر والقسوة أيها المفتش (جوزيف) ؟

استدار إليه المفتش (جوزيف) ، في مزيج من الدهشة والغضب ، وصاح :

ـ انتبه لكلماتك أيها الجندي الوقح وإلا ....

بتر عبارته بغتة ، حينما رفع الحارس مسدسه في وجهه ، وقال في سخرية :

ـ وإلا ماذا أيها المفتش ؟

كاد (خالد) يجن من فرط الدهشة ، وتراجع المفتش (جوزيف) في حدة ، وغمغم :

ـ يا إلهي !!.. إنك لست الحارس الذي ....

وفي حركة مباغتة سريعة ، هوى الحارس المزيّف بمسدسه على رأس المفتش ، فأخرس كلماته ، وأفقده الوعي ، ثم تحرّك في سرعة ، وصوّب مسدسه إلى (خالد) ، الذي هتف :

ـ ماذا يحدث هنا ؟

قال الحارس في صرامة :

ـ ستعلم كل شيء حينما تصحبني أيها الشاب .

عقد (خالد) حاجبيه ، وهو يسأله في حدّة :

ـ إلى أين ؟

ابتسم الحارس الزائف في سخرية ، وقال :

ـ إلى حيث ينتظرك زميلك (أدهم صبري) أيها الشاب .. إلى مركز قيادة الرفيق (سيرجي كوربوف) .

* * *

بدت عينا (سيرجي) باردتين ، لولا البريق الذي التمع فيهما ، وهو يتطلّع إلى (خالد) ، الذي وقف رافعًا ذراعيه ، واضح الغضب أمامه ، وقال للحارس المزيّف في هدوء :

ـ هل قابلتك أية متاعب يا (ألكسندروف) ؟

أجابه (ألكسندروف) في بساطة :

ـ لقد كان التخلص من الحارس الأصليّ متعبًا بعض الشيء أيها الرفيق ، ولكنني أفقدت المفتش (جوزيف) وعيه بضربة واحدة ، وضابط المخابرات المصري هذا لم يقاوم قط .

ابتسم (سيرجي) ابتسامة خافتة ، وقال :

ـ عجبًا !!.. عهدي برجال المخابرات المصرية أنهم شديدو العناد .

عقد (خالد) حاجبيه في غضب ، وهو يقول في صرامة :

ـ أين (أدهم صبري) ؟

تطلّع إليه (سيرجي) لحظة في صمت وبرود ، ثم غمغم :

ـ إذن فهذا ما جعلك تأتي دون مقاومة ؟!

عاد (خالد) يكرر سؤاله في صرامة :

ـ أين (أدهم) ؟

أشار (سيرجي) في برود إلى حجرة جانبية ، وقال :

ـ هناك .

اندفع (خالد) إلى الحجرة التي أشار إليها (سيرجي) ، غير مبالٍ بمسدس (ألكسندروف) المصوّب إلى رأسه ، ولكنه لم يكد يفتح بابها حتى شعر بصاعقة تزلزل كيانه ، وجحظت عيناه حتى كادتا تقفزان من محجريهما ، وسقط قلبه بين ضلوعه ..

فهناك .. على أرض الحجرة ، جلس (أدهم صبرى) ، مستندًا إلى الحائط بظهره ..

لم يكن (أدهم صبرى) الذى عرفه منذ عشرة أيام مضت ..

كان صورة ممسوخة مشوّهة منه ..

وجهه شاحب مصفرّ نحيل ، وعيناه غائرتان ذابلتان ، ولحيته نامية ، وشعره أشعث مغبرّ ، وقميصه متسخ ، وسرواله مجعّد ..

كان بقايا رجل ..

بل بقايا إنسان ..

وقفز (خالد) نحوه فى ألم ولوعة ، وأمسك كتفيه ، وهو يهتف فى جزع :

ـ ماذا أصابك أيها المقدم ؟ .. ماذا أصابك ؟

أدار إليه (أدهم) عينين زائغتين ، وابتسم فى شحوب ، وهو يغمغم فى صوت واهن :

ـ إذن فأنت حىّ .. هذا عظيم .. عظيم ..

ثم أغلق عينيه فى هدوء ، وأخذ يهمهم بكلمات غير مفهومة ..



فهناك .. على أرض الحجرة ، جلس (أدهم صبرى) ، مستندًا إلى الحائط بظهره .. لم يكن (أدهم صبرى) الذى عرفه منذ عشرة أيام مضت ..

استدار (خالد) إلى (سيرجى) ، الذى يقف هادئاً على باب الحجرة ، وصاح فى سخط وألم :

ـ ماذا فعلتم به ؟

هزّ (سيرجى) كتفيه فى لامبالاة ، وقال فى هدوء :

ـ إنه (الكوكايين) .. لقد أصبح زميلك مدمنًا .

اتسعت عينا (خالد) فى ذُعر ، وهتف فى غضب :

ـ أيها الوغد الحقير .. لو أنك تتصوّر أننى سأتركك تفعل به هذا فأنت ....

قاطعه (سيرجى) فى برود :

ـ إنه لك .. احمله واذهب به خارجًا .

حدّق (خالد) فى وجهه بدهشة ، وغمغم فى حَيْرة :

ـ ماذا ؟!

عاد (سيرجى) يهز كتفيه ، قائلاً :

ـ وهل تظن أننى أنوى الاحتفاظ به ؟.. لقد انتظرنا عودتك إلى وعيك بفارغ الصبر ، بعد أن أبلغنا صديق لنا ، فى إدارة الشرطة ، عن عثورهم عليك حيًّا ، ومادمت قد حضرت ، فلتصحب معك هذا المدمن ، فهو يكلفنا مبالغ باهظة لنوفّر له ذلك المخدر .

عاد (خالد) يغمغم فى ألم :

ـ أيها الحقير .

ابتسم (سيرجى) ابتسامة واهية ، وأشعل سيجارًا ذا رائحة نفّاذة ، ونفث دخانه فى الهواء ببطء ، قبل أن يقول :

ـ أنتما مطلقا السراح .. لقد تحطّم زميلك تمامًا ، ولست أبغى شيئاً منك .

ثم أخرج من جيبه علبة صغيرة ، ألقى بها إلى (خالد) ، وهو يستطرد فى برود :

ـ وهذه هدية الوداع .. كمية من (الكوكايين) النقى ، تكفى زميلك المدمن ثلاثة أيام كاملة ، وبعدها تتكفّل مخابراتكم باحتياجاته .

وابتسم فى ظفر ، وهو يردف :

ـ مع تحياتى للمخابرات المصرية .

* * *

٢ ـ محاولة إنقاذ ..

اندفع الملحق الطبي بسفارة (مصر) في (يوجوسلافيا) ، إلى المنزل الذي استأجرته المخابرات العامة في (بلغراد) ، وسأل (خالد) في اهتمام وقلق واضحين :

ـ أين هو ؟.. لقد اتصل بنا السيد رئيس الجمهورية بنفسه من أجله .

أشار (خالد) بيده في حزن ، فأسرع الطبيب المصري إلى الحجرة التي أشار إليها ، وتوقف لحظة ، ليتأمل جسد (أدهم) الناحل في إشفاق ، ثم جلس إلى جواره على طرف الفراش ، وسأله في عطف :

ـ كيف حالك أيها المقدم ؟

حاول (أدهم) أن يبتسم ، وهو يقول :

ـ في أسوأ حال يا سيدي الطبيب .

ابتسم الطبيب في إشفاق ، وهو يغمغم :

ـ إنها ليست نهاية العالم أيها المقدم .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :

ـ يا إلهي !!.. كنت أظنه قد انتهى منذ دفع ذلك الوغد بالسم في عروق .

ثم أردف في غضب :

ـ لقد حاولت مقاومة إدمان تلك السموم يا سيدي .. صدقني .. ولكن الآلام كانت رهيبة .. حتى أنني لم أستطع احتمالها .

وضحك في مرارة ، قبل أن يردف :

ـ لقد احتملت آلامًا مبرّحة من قبل ، ولكن هذه الآلام تختلف .. إنني أشعر بالألم في كل خلية من خلاياي .. وفي عظامي وأحشائي .. إن جسدي يصرخ طالبًا ذلك السم .

أومأ الطبيب برأسه ، وكأنه يوافقه ، ثم قال في هدوء :

ـ سنقاوم ذلك الشعور أيها المقدم .. سنحقنك بجرعات متناقصة تدريجيًا من (الكوكايين) ، ونعوّض الفارق بمادة مضادة و ..

قاطعه (أدهم) في هدوء :

ـ افعل ما بدا لك أيها الطبيب ، وسأعاونك بقدر إمكاني .

ابتسم الطبيب وهو يقول :

ـ إرادتك القوية ستكون خير عون أيها المقدم .

أومأ (أدهم) فى وهن ، والتفت إلى (خالد) ، وسأله فى اهتمام :

ـ هل عاد ذلك الوغد (سيرجى) إلى دولته ؟

هزّ (خالد) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لا يا سيادة المقدم .. مازال هنا فى (بلغراد) .

ضاقت عينا (أدهم) وهو يقول فى غضب :

ـ هذا الوغد يريد مشاهدة نهاية المسرحية ، التى وضع هو فصولها .

غمغم (خالد) فى ضيق :

ـ ربما كان يبحث عن وسيلة أخرى للعثور على الصندوق الأسود .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وقال :

ـ هناك وسيلة أخرى بالطبع .

هتف (خالد) فى دهشة :

ـ كيف ؟

أشار (أدهم) بسبابته ، وهو يقول :

ـ هل تذكر الضفادع البشرية الثلاثة الذين قضينا عليهم ؟.. لقد أشار ذلك الوغد (جان) إلى أنهم كانوا يحملون جهازًا مشابهًا لذلك الذى حطمته ، وهذا يعنى أننا لو نجحنا فى العثور على ذلك الجهاز فـ ....

قاطعه (خالد) ، وهو يهتف فى حماس :

ـ فيمكننا العثور على الصندوق الأسود .. يا إلهى !!.. هذا صحيح .

قال (أدهم) :

ـ نعم أيها الملازم .. لو أننا ....

وفجأة بتر عبارته ، وامتلأت ملامحه بالألم ، وهتف فى سخط :

ـ هذا السم اللعين ..

أشاح (خالد) بوجهه فى ألم ، ليتفادى رؤية (أدهم) وهو يرتجف ، ويتألم ، ويشحب ، ويطلب جرعة جديدة من ذلك المخدّر اللعين .

وبينما أسرع الملحق الطبى يجهّز الجرعة ، غمغم (خالد) فى سخط وألم :

ـ لقد نجح ذلك الوغد (سيرجى) .. لقد حطّم رجل المستحيل .

* * *

نفث (سيرجى) دُخان سيجارة فى هدوء ، وتألقت عيناه وهو يغمغم :

ـــ إذن فقد أرسلوا الملحق الطبّى .

أومأ (ألكسندروف) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـــ نعم .. ولا ريب أنهم يحاولون إنقاذه من الإدمان .

هزّ (سيرجى) رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ لن ينجحوا أبدًا .. لقد كنت أعطيه مزيجًا خاصًا من المورفين والكوكايين ، ولن يمكنهم معالجته ، ما لم أصف لهم الجرعة تمامًا .

ضحك (ألكسندروف) ، وهو يقول :

ـــ إنك تحطمه تمامًا أيها الرفيق .

مطّ (سيرجى) شفتيه ، وقال فى برود :

ـــ هذا جزاء كل من يتحدى الكوبرا أيها الرفيق .

ثم اعتدل ، وسأله :

ـــ هل هناك زوّار آخرون لذلك البطل المصرى ؟

هزّ (ألكسندورف) رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ لا أحد يذكر .. باستثناء الملحق الطبى ، ليس هناك سوى فتاة مصرية و ....



أشاح (خالد) بوجهه فى ألم ، ليتفادى رؤية (أدهم) وهو يرتجف ويتألم ، ويطلب جرعة جديدة من ذلك المخدر اللعين ..

اعتدل (سيرجى) دفعة واحدة ، وسأله فى اهتمام مفاجئ :

ـ أهى سوداء الشعر ، رقيقة الملامح ، صغيرة الجسم ؟

تطلّع إليه (ألكسندروف) فى دهشة ، وغمغم :

ـ هذا صحيح .. كيف تعرف كل ذلك أيها الرفيق ؟

تألقت عينا (سيرجى) ببريق شرس ، وهو يقول :

ـ إنها رفيقته (منى توفيق) أيها الرفيق .. إنها المخلوق الوحيد فى هذا الكون ، الذى يمكنه دفع (أدهم صبرى) لتحطيم حاجز المستحيل .

ثم أردف فى وحشية :

ـ أريد هذه الفتاة يا (ألكسندروف) .. أريدها بأى ثمن .

* * *



٣ ـ اختطـــاف ..

ـ (أدهم) ..

كلمة واحدة نطقت بها (منى) ..

كلمة حملت كل المشاعر ، التى تموج فى أعماقها ..

حملت لهفتها ، وألمها ، وتوترها ، وحيرتها ، وحزنها ، ولوعتها ، وجزعها ، وحنانها ..

كلمة حملت أعماقها كلها إلى أذنى (أدهم) ، ومشاعره ، وقلبه ..

وأدار (أدهم) إليها عينيه فى بطء وحزن ، واحتواها بناظريه ، قبل أن يغمغم فى خفوت :

ـ (منى) .. كيف حالك يا عزيزتى ؟

أسرعت (منى) إليه ، وأمسكت كفه فى حنان ، وهى تهمس :

ـ كيف حالك أنت يا (أدهم) ؟.. ماذا أصابك ؟

فشل فى أن يبتسم ، وهو يخفض عينيه ، قائلاً :

ـــ لم أكن أتمنى رؤيتك أبدا ، وأنا أخوض هذه المعركة الخاسرة يا (منى) :

هتفت فى حماس :

ـــ إنك لن تخسر أية معركة أبدا .. إنك اليوم تقاتل أخطر رجل فى العالم كله .. تقاتل نفسك يا (أدهم) ، وأنا واثقة أنك ستنتصر على هذا المخدر اللعين .

غمغم الملحق الطبى فى انفعال :

ـــ لن يمضى شهر واحد ، إلا ويكون قد تجاوز أزمته يا آنستى ، فهو يملك قوة إرادة مذهلة .

سألته (منى) فى لهفة :

ـــ ألا يمكن إنهاء الأمر فى أقل من ذلك ؟

تردّد الطبيب ، لحظة ، ثم قال :

ـــ هناك وسيلة ، ولكنها محفوفة بمخاطر رهيبة ، ألا وهى الامتناع عن المخدر دفعة واحدة .

جذبت الإجابة انتباه (أدهم) ، فسأله فى اهتمام :

ـــ وما الذى تنطوى عليه هذه الوسيلة من خطورة ؟

ازداد تردّد الطبيب ، قبل أن يجيب فى صوت خافت :

ـــ سيكون على جسدك أن يقاتل نفسه ، ويحاول ترويض

خلاياه على التخلى عن نسبة المخدر فى الدم ، ولن يكون ذلك بالأمر البسيط .

هتفت (منى) :

ـــ وما مدى الخطورة ؟

ألقى إليها الطبيب نظرة مشفقة طويلة ، ثم غمغم :

ـــ قد تؤدى إلى مصرعه .

هتفت (منى) فى جزع :

ـــ يا إلهى !!

لم يكد صدى هتافها يتلاشى ، حتى ارتفع صوت ساخر يقول بالإنجليزية :

ـــ اطمئنوا أيها السادة .. لن يشفى ضابط المخابرات المصرى أبدا .

التفت الجميع إلى مصدر الصوت فى دهشة ، فطالعهم (ألكسندروف) بقامته الطويلة ، ووجهه النحيل الساخر ، وهو يصوّب إليهم مسدسه ، وخلفه ثلاثة رجال ، يصوّبون مسدساتهم إلى (خالد) ..

* * *

مضت لحظة من الدهشة والتوتُّر ، قبل أن يقول (أدهم)
فى غضب :

ـ ماذا تريد أيها الوغد ؟

ابتسم (ألكسندروف) ، وقال فى سخرية :

ـ لقد أتيت لأطمئن عليك أيها الشيطان المصرى .

غمغم (خالد) فى حَنَق :

ـ لقد كشفوا وجود نقص فى حضارتهم ، فأرادوا تعويضه .

أدار (ألكسندروف) فوّهة مسدسه إلى رأس (منى) ،
وقال فى هدوء :

ـ سنصحب الفتاة معنا .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول فى غضب :

ـ حذار أن تمس شعرة واحدة منها أيها الوغد .. وإلّا ..

أطلق (ألكسندروف) ضحكة ساخرة عالية ، وقال :

ـ وإلّا ماذا أيها البطل السابق ؟ .. هل ستحطّم فكّى ؟

قفز (أدهم) فجأة من فراشه ، وركل مسدس
(ألكسندروف) ، ثم رفع قبضته ليلكُم هذا الأخير ، ولكن
مبادرته كانت أبطأ من المألوف ، بفضل المخدّر ، الذى يملأ
عروقه ..

وتفادى (ألكسندروف) اللكمة فى بساطة ، ثم لكم
(أدهم) لكمة قوية ، ألقت به على الفراش ، وعاد يلتقط
مسدسه فى بساطة ، وهو يقول :

ـ يبدو أنك لم تدرك بعد حقيقة وضعك أيها البطل
السابق .. لقد انتهى عهد بطولاتك ..
لقد أصبحت مدمنًا ، ولا يوجد بطل واحد فى التاريخ كله
يدمن المخدرات .

صاحت (منى) فى غضب :

ـ ستدفعون ثمن ذلك .

وبسرعة ، دار (خالد) على عقبيه ، ولكم أحد الرجال
الثلاثة ، الذى يقفون خلفه ، ثم انحنى متفاديًا لكمة الثانى ،
ولكن مسدس الثالث هوى على عنقه ، وأسقطه فاقد الوعى ..
وهنا ابتسم (ألكسندروف) فى سخرية ، وقال :

ـ عنيدون هم هؤلاء المصريون .

ثم جذب (منى) من ذراعها فى قسوة ، وهو يردف فى
خشونة :

ـ هيّا يا فتاتى .. الرفيق (سوجى) يريد رؤيتك .

حاولت (منى) أن تقاومه ، وقفز (أدهم) نحوه مرة

أخرى ، ولكن (ألكسندروف) عاد يلكمه فى قوة ، ثم دفع (منى) إلى رجاله الثلاثة ، والتفت إلى (أدهم) قائلاً فى سخرية :

— لا تخش شيئًا أيها البطل السابق .. سندفع ثمن زميلتك .

ثم ألقى إلى (أدهم) بعلبة من المخدِّر ، وأطلق ضحكة ساخرة عالية ، وهو يردف :

— الوداع أيها البطل السابق .

ظلَّ (أدهم) راقدًا حيث أسقطته لكمة (ألكسندروف) ، حتى غادر هذا الأخير المكان مع رفاقه ، وهنا هتف الملحق الطبى فى جزع :

— يا إلهى !! .. لقد اختطفوها أمام عيوننا .

نهض (أدهم) فى بطء وألم ، ومسح خيط الدم السائل من طرف شفتيه ، وغمغم فى مزيج من السخط والألم :

— ألم أقل لك إنها النهاية يا سيِّدى الطبيب ؟ .. لقد عجزت عن إنقاذ الفتاة التى أحب ..

وهذه هى النهاية .. إننى لم أعد أصلح يا سيِّدى .. لقد انتهى رجل المستحيل .

* * *

ابتسم (ألكسندروف) فى سخرية ، وقال :

— لقد انتصرنا تمامًا أيها الرفيق (سيرجى) ، ويمكننا الآن أن نعود إلى (موسكو) .

أجابه (سيرجى) فى برود :

— ليس بعد .

عقد (ألكسندروف) حاجبيه ، وهو يقول :

— ولكننا فعلنا كل ما أردت أيها الرفيق ، على الرغم من اعتراض رؤسائنا فى (موسكو) ..

أنت تعلم أنهم لا يقرون هذه الوسائل و ....

قاطعه (سيرجى) فى صرامة :

— أعلم أنهم يعتبروننى أقرب إلى رجال العصابات منى لرجال المخابرات ، ولكنهم يعترفون بقدرتى على إنجاز المهام فى كفاءة ، وهذا ما يجعلهم يتجاوزون عن أساليبى .

وأردف فى ضيق :

— ثم إننى أفعل ذلك من أجل الوطن .

تردَّد (ألكسندروف) لحظة ، ثم قال :

— لا أيها الكوبرا .. إنك تفعل هذا من أجل نفسك ، فالوطن لا يطالبنا بأن نكون طغمة من الأوغاد .

صاح (سيرجى) فى غضب :

ــ كفى أيها الرفيق .. لاتنس أننى قائدك .

ثم استعاد بروده بسرعة ، وهو يردف :

ــ وستطيع أوامرى ، سواء شئت أم أبيت .

زفر (ألكسندروف) فى ضيق ، وقال :

ــ حسنًا أيها الرفيق (سيرجى) .. ماذا علينا أن نفعل ؟

ابتسم (سيرجى) فى ظفر ، وقال :

ــ سنحتفظ بالفتاة وننتظر يا (ألكسندروف) .. حتى يرحل ذلك البطل السابق وحده ..

عاد (ألكسندروف) يعقد حاجبيه وهو يغمغم :

ــ هل تظن أنه سيتركها ويرحل ؟

تألقت عينا (سيرجى) فى ثقة ، وهو يقول :

ــ لقد جعلته مدمنًا يا (ألكسندروف) ، ولن يفكِّر من الآن فصاعدًا إلّا فى نفسه .

وأردف فى مزيج من السخرية والشماتة والظفر :

ــ لقد انتهى ضابط المخابرات المصرى ، الذى فاقت شهرته الآفاق يا (ألكسندروف) ..

لقد انتهى البطل ..

* * *

الفصل الثالث

الإرادة

١ ــ قبضة الشيطان ..

ــ لقد رحل .

هتف (ألكسندروف) بهذه العبارة فى انفعال المنتصر ، وأردف وهو يلمح بريق الظفر فى عينى (سيرجى) :

ــ لقد رأيته بنفسى وهو يصعد إلى الطائرة ، وانتظرت حتى أقلعت ، ثم هرعت إلى هنا لأخبرك .

ابتسم (سيرجى) فى برود ، وهو يقول :

ــ وكنت أعلم هذا .

ثم رفع عينيه إلى (ألكسندروف) ، وسأله فى اهتمام :

ــ هل التقطت صورته كما أمرتك ؟

التقط (ألكسندروف) من جيبه صورة فوتوجرافية ، ناولها إلى (سيرجى) ، وهو يقول فى حماس :

ــ بالطبع أيها الكوبرا .. لقد كان مشهدا تاريخيًا يستحق التسجيل .

ضاقت عينا (سيرجى) ، وهو يتأمل الصورة فى اهتمام ..

كانت تمثل (أدهم) ، وهو يستند فى ضعف إلى كتف الملحق الطبى ، والألم والحزن يطلان من وجهه بغزارة ، وهما يصعدان سلم الطائرة ، فابتسم (سيرجى) فى ظفر ، وقال فى هدوء :

ــ الآن فقط يمكننى القول إننا قد انتصرنا .

غمغم (ألكسندروف) فى توتر :

ــ ولكننا لم نحصل على الصندوق الأسود .

ظهر الغضب على وجه (سيرجى) ، وقال فى حدة :

ــ المصريون أيضًا لم يحصلوا عليه .. المهم أننا هزمنا بطلهم .

ثم أردف فى فخر :

ــ لقد اختطفنا زميلته منذ أسبوع كامل ، وهو لم يحاول إنقاذها قط ، وهذا أكبر دليل على تحطمه .

ابتسم (ألكسندروف) مجاملا ، وقال :

ــ حسنًا أيها الرفيق .. هل يمكننا العودة إلى (موسكو) الآن ؟

أومأ (سيرجى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ بالطبع أيها الرفيق .. لقد انتهت مهمتنا .. انتهت بنجاح .

* * *



ولكن قبضة (أدهم) تحرّكت فى سرعة مذهلة ، وشعر (ألكسندروف) بقبضة فولاذية تطبق على عنقه ، وبقوة خارقة تنتزعه من مقعده

غادر (ألكسندروف) مكتب شركة الطيران اليوجوسلافية ، حاملاً تذاكر السفر ، وقفز داخل سيارته الصغيرة ، وهو يغمغم فى سخط :

ـ لقد بالغ الكوبرا كثيرًا هذه المرة .. إننى أرتجف كلما تخيلت غضب الرؤساء فى (موسكو) ..

وامتدت يده لتدير محرك سيارته ، ولكنها تسمّرت فى طريقها ، وجحظت عيناه فى رعب ، وهو يحدق فى مرآة السيارة ..

فهناك .. على المقعد الخلفى ، برز فجأة وجه صارم حازم ، يحْدجه بنظرات قاسية غاضبة ..

آخر وجه يتوقع (ألكسندروف) رؤيته فى هذه اللحظة ، وهذا المكان ..

وجه (أدهم صبرى) ..

أسرعت يد (ألكسندروف) إلى مسدسه ، ولكن قبضة (أدهم) تحرّكت فى سرعة مذهلة ، وشعر (ألكسندروف) بقبضة فولاذية تطبق على عنقه ، وبقوة خارقة تنتزعه من مقعده ، وتلقى به على المقعد الخلفى للسيّارة ..

حاول أن يصرخ مستنجدًا ، وقد وصل رعبه إلى الذروة ، ولكن قبضة (أدهم) هوت على فكه كالصاعقة ، ودارت عينا (ألكسندروف) فى محجريهما ، وشعر بمذاق الدم فى فمه ، وبصق ثلاثًا من أسنانه المحطمة ، وغمغم فى ضيق وضراعة ورعب :

ـــ الرحمة !! الر ....

وابتلع الجزء الثانى من كلمته ، حينما غاصت قبضة (أدهم) اليسرى فى معدته ، وارتفعت اليمنى لتهشّم أنفه فى قوة ..

اصطبغت الدنيا بلون الدم أمام عينى (ألكسندروف) ، واكتنفه دُوار شديد ، وتضاعف رعبه حتى كاد قلبه يتوقّف عن النبض ، حينما جذبه (أدهم) إليه فى قوة ، وتطلّع إلى عينيه فى صرامة ، وهو يقول فى لهجة جمّدت مابقى من الدماء فى عروقه :

ـــ ما اسم الرجل الذى يعمل لحسابكم ، فى إدارة شرطة (بلغراد) ؟

لم يتردّد (ألكسندروف) لحظة ، وهو يهتف فى رعب :

ـــ (تيتو) .. المفتش (تيتو) فى الإدارة العامة .

عاد (أدهم) يسأله فى صرامة مخيفة :

ـــ هل يعرفك شخصيًا ؟

أومأ (ألكسندروف) برأسه فى ذعر ، وهو يهتف :

ـــ نعم .. نعم .

ابتسم (أدهم) ابتسامة ارتجف لها قلب (ألكسندروف) ، وسقط بين ضلوعه ، وهو يقول فى هدوء مخيف :

ـــ حسنًا أيها الوغد .. هذا يكفى .

ثم انفجرت قبضته كالقنبلة فى وجه (ألكسندروف) .

* * *

شحب وجه المفتش (تيتو) ، وهو يحدّق فى وجه (أدهم) ، الذى تحوّل ـــ بفضل براعته المذهلة فى التنكّر ـــ إلى صورة طبق الأصل من (ألكسندروف) ، وهتف فى صوت خافت مرتبك ، وهو يختلس النظر إلى زملائه فى إدارة الأمن العام .

ـــ ماذا دهاك أيها الرفيق (ألكسندروف) ؟.. ليس من الصواب أن تأتى إلى هنا ، إنك تضعنى فى موقف بالغ الحساسية .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وخرج من بين شفتيه صوت يماثل صوت (ألكسندروف) بدقة مدهشة ، وهو يقول فى صوت خافت ، اصطبغ بالغضب :

— إنك تتقاضى من مخابراتنا مبلغًا باهظًا ، يمنحنا حق طلب خدماتك فى أية لحظة .

تطلع (تينو) إلى رفاقه فى ذعر ، ولوح بكفه ، وهو يهتف فى صوت أقرب إلى الهمس :

— حسنًا أيها الرفيق (ألكسندروف) .. حسنًا .. ماذا تطلب منى بالضبط ؟

قال (أدهم) فى صرامة :

— أريد أحد متعلقات الغواصين الثلاثة ، الذين عثرتم على جثثهم ، فى حادث انفجار اليخت .

ازداد شحوب وجه (تينو) ، وهو يغمغم فى ذعر :

— ولكن هذا مستحيل أيها الرفيق .. هذه المتعلقات محرزة و ....

قاطعه (أدهم) فى حزم :

— هل ترفض ؟

جفف (تينو) عرقه فى توتر ، وغمغم :

— إننى لا أملك إعطاءك إياها أيها الرفيق .. إن جميعها مسجلة و ....

عاد (أدهم) يقاطعه فى حدة :

— ومن قال إننى سآخذها ؟.. إننى أريد رؤيتها فحسب .

هتف (تينو) فى ضراعة :

— حسنًا أيها الرفيق ، ولكن اخفض صوتك .. أرجوك .

ثم أشار إلى حجرة جانبية ، وقال :

— هيا إلى مكتبى .. وسأطلب من المعمل الجنائى إرسالها ، بحجة دراسة القضية .. هل يرضيك هذا ؟

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، وهو يقول :

— نعم أيها الرفيق (تينو) .. يرضينى تمامًا .

* * *

أشار (تينو) إلى المتعلقات ، التى أحضرها المعمل الجنائى ، وقال فى توتر :

— ها هى ذى كل المتعلقات أيها الرفيق (ألكسندروف) .

تألقت عينا (أدهم) فى ظفر ، وهو يلتقط جهاز الإرشاد الصغير ، الذى يشبه ساعة اليد ، وقال بصوته الأصلى :

— هذه تكفينى أيها الوغد .

تراجع (تينو) فى ذهول ، وهو يهتف :

— يا للشيطان !!.. إنك لست (ألكسندروف) .

دس (أدهم) الجهاز فى جيب معطفه ، وهو يقول فى هدوء :

— بالطبع أيها الوغد .. إننى أكره أن أتشبه بهذا الحقير .

انتزع (تينو) مسدسه ، وصوبه بأصابع مرتجفة إلى (أدهم) ، وهو يقول فى ذعر :

— لقد .. لقد خدعتنى .

وفجأة طار مسدسه إثر لكمة من قبضة (أدهم) ، التى انطلقت مرة أخرى ، لتغوص فى معدته ، ثم عادت ترتفع ، وتنقض مرة أخرى على المكان نفسه ..

تأوه (تينو) فى ألم وذعر ، ورفع عينيه الملتاعتين إلى (أدهم) ، الذى جذبه إليه فى قوة ، وحدق فى عينيه بحزم رهيب ، وهو يقول فى صوت صارم قاس :

— أنت خائن يا (تينو) .. وأنا أكره الخونة والخيانة ، وأريد منك أن تعلم أننى سأحطمك .

فتح (تينو) فمه ليصرخ مستنجدا ، ولكن قبضة (أدهم) الفولاذية أخرسته ، وحطمت فكه فى آن واحد ، ثم اعتدل (أدهم) ، وتألقت عيناه فى غضب وصرامة ، وهو يغمغم :

— لقد اقترب موعد نزع أنيابك أيها الكوبرا !!

* * *

٢ — شيطان الغضب ..

لم يكد رنين الهاتف يرتفع فى منزل (سيرجى) ، حتى التقط سماعته ، وهتف فى حدة :

— من المتحدث ؟

وما إن أتاه صوت محدثه ، حتى قال فى غضب :

— ماذا أصابك يا (الكسندروف) ؟ .. لقد اقترب منتصف الليل ، وأنا أنتظرك منذ الصباح .

أجابه (أدهم) منتحلاً صوت (الكسندروف) ولهجته :

— هناك أمور تحتاج إلى تصفيتها قبل أن نعود إلى (موسكو) أيها الكوبرا ، سأحاول الانتهاء منها بسرعة ، وسأعود فى التالية صباحا ، وستنطلق طائرتنا فى الفجر .

غمغم (سيرجى) فى سخط :

— حسنا .. إننى أنتظر .

ثم وضع سماعة الهاتف فى حدة ، واستدار إلى (منى) ، التى تجلس مقيدة على مقعد قريب ، وقال فى برود :

— كفى عن البكاء يا فتاتى .. ستنتهى متاعبك قبل فجر الغد .



ثم انتزع مسدسه ، وجذب إبرته ، وهو يردف فى هدوء :
ـ سأحطم رأسك الجميل ، قبل أن تغادر هذا المنزل تمامًا

قالت فى غضب

ـ إننى أكره صوتك البغيض ، ووجهك الحقير

ابتسم فى برود ، وقال :

ـ ستتخلصين من كل هذا قبل الفجر يا فتاتى .

ثم انتزع مسدسه ، وجذب إبرته ، وهو يردف فى هدوء :

ـ سأحطم رأسك الجميل ، قبل أن تغادر هذا المنزل تمامًا .

* * *

كان المفتش (جوزيف) مستغرقًا فى نوم عميق ، عندما شعر بجسم معدنى بارد يلتصق بجبهته ، ففتح عينيه فى بطء ، ولكنه لم يلبث أن قفز من فراشه ، وملامحه تشف عن ذهول شديد ، وهو يحدق فى وجه (أدهم) ، الذى قال فى هدوء صارم :

ـ مهلاً أيها المفتش ، سأطلق النار عند أول بادرة للمقاومة .

هتف المفتش (جوزيف) فى صوت مبحوح :

ـ ماذا تريد ؟ .. إننى لا أملك شيئًا .

ألقى إليه (أدهم) بورقة مطوية ، وهو يقول :

ـ أنا أملك شيئًا يهمك أيها المفتش

التقط المفتش الورقة ، وفضها فى ارتباك ، وتطلع فى دهشة

إلى الأسماء المدوّنة بها ، ثم رفع عينيه إلى (أدهم) ، وهو يقول فى دهشة :

— ما هذا ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

— قائمة بأسماء كل عملاء الـ (كى . جى . بى) فى (بلغراد) .

اتسعت عينا (جوزيف) فى ذهول ، وعاد يتطلّع إلى الورقة فى لهفة ، وهو يهتف :

— يا إلهى !! .. كل هؤلاء ؟ .. ولكن كيف حصلت عليها ؟ .. إنها مستند بالغ الخطورة و ....

بتر عبارته بمزيد من الذهول ، وهو يتطلّع إلى الحجرة الخالية ، ثم أسرع إلى نافذة حجرته المفتوحة ، ونظر إلى الطريق الخالى فى دهشة ، قبل أن يغمغم :

— يا إلهى !! .. لقد تبخّر .. اختفى ..

ثم عاد يتطلّع إلى الورقة فى حيْرة ، واندفع إلى هاتفه ، وطلب رقم إدارة الأمن العام ، ولم يكد يسمع صوت محدّثه حتى قال فى صوت ينم عن الاهتمام واللهفة :

— (بروس) .. اسمعنى جيّدًا .. بين يدىّ مستند بالغ الخطورة .. أريد منك أن توقظ النائب العام ، وتطلب منه أمر اعتقال جماعى .. انتظر .. سأمليك كل الأسماء .. *

وفوق الحافة الضيّقة ، المجاورة لنافذته من الخارج ، ابتسم (أدهم صبرى) ، وتألّقت عيناه فى ظفر .

* * *

دقّت ساعة الحائط فى منزل (سيرجى كوربوف) ، معلنة تمام الثانية صباحًا ، فالتقى حاجباه ، وهو يقول فى حنق :

— لقد سئمت هذا الانتظار .. أين ذهب ذلك السخيف (ألكسندروف) ؟

أتاه صوت (أدهم) يقول بصوت (ألكسندروف) :

— هأنذا أيها الرفيق .. فى موعدى تمامًا .

التفت إليه (سيرجى) فى حِدّة ، وسأله فى صرامة :

— هل أحضرت التذاكر ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء ، وهو يناوله التذاكر .

— ها هى ذى .

التقط (سيرجى) التذاكر فى برود ، وألقى عليها نظرة فاحصة ، احتقن بعدها وجهه ، وهو يقول فى غضب :

— أيها الغبىّ .. ألا تجيد القراءة ؟ .. لقد فاتتنا الطائرة .. لقد كان موعدها فى الواحدة صباحًا ، وليس فى الفجر .

أجابه (أدهم) فى برود :

— أعلم ذلك .

تطلع إليه (سيرجى) فى دهشة ، ثم هتف فى غضب :

ـ كيف تحررت .. ؟

قاطعه (أدهم) فى برود :

ـ هناك ما هو أهم من الطائرة أيها الكوبرا .

ثم أخرج يده من خلف ظهره ، وألقى بجسم أسود أمام (سيرجى) ، وهو يردف :

ـ الصندوق الأسود .

نقل (سيرجى) عينيه بين (أدهم) والصندوق الصغير فى ذهول ، ثم انحنى يلتقطه فى خفة ، وهو يهتف :

ـ كيف حصلت عليه ؟

ثم أردف فى غضب :

ـ ولكنه فارغ .. أين محتوياته ؟

أجابه (أدهم) مستخدمًا صوته الحقيقى :

ـ إننى أحتفظ بها أيها الكوبرا .

اتسعت عينا (سيرجى) فى ذهول ، وتراجع فى حدة ، وهو يقول :

ـ هذا مستحيل !! مستحيل .

واختلج قلب (منى) بين ضلوعها ، وهى تهتف فى سعادة ولهفة :

ـ (أدهم) !! .. هل أحلم ؟

انتزع (أدهم) القناع المطاطى الرقيق ، الذى يحمل وجه (ألكسندروف) ، وقال فى صرامة ، وحزم :

ـ لا يا عزيزتى .. إنها حقيقة .. أنا (أدهم) .. (أدهم صبرى) .

* * *



٣ ـ أنياب الكوبرا ..

كان وقع المفاجأة رهيبًا على (سيرجى) ، حتى أن قناع الجمود الذى يضعه على وجهه قد سقط دفعة واحدة ، وهو يحدّق فى وجه (أدهم) بذهول ، قبل أن يهتف فى دهشة :

ـ هذا مستحيل !! أنت رجل مدمن .. ثم إنك قد رحلت .

أشار (أدهم) إلى القناع المطاطىّ ، الملقى على الأرض ، وقال فى سخرية :

ـ هل تعتقد أن مدمنًا يمكنه صنع مثل هذا القناع أيها الوغد ؟

ثم أردف فى صرامة :

ـ لقد خدعتك أيها الكوبرا .. إن من رحل إلى القاهرة صباح اليوم ليس إلّا زميلى الملازم (خالد) ، بعد أن بدّلت ملامحه ، وصنعت منه نسخة طبق الأصل منّى .

هتف (سيرجى) فى حدّة :

ـ إنك تحاول خداعى .. أراهنك أنك ستنهار بعد لحظات ، طلبًا للمخدّر .

ضاقت عينا (أدهم) ، وهو يقول فى صوت مخيف :

ـ لا مخدّر بعد الآن أيها الكوبرا .. لقد تخلّصت من سمومك تمامًا

صاح (سيرجى) فى شك :

ـ هذا مستحيل .. علاج الإدمان يستغرق شهرين على الأقل و ....

قاطعه (أدهم) فى صرامة :

ـ هذا هو المسار الطبيعى للعلاج أيها الوغد ، ولكنك أجبرتنى على اتخاذ أقصر الطرق وأخطرها ، حينما اختطفت (منى) .

اختلج قلب (منى) فى سعادة ، وتطلّعت إلى (أدهم) فى حب وامتنان ، وهو يستطرد :

ـ لقد آلمنى كثيرًا أن يختطف ذلك الحقير (الكسندروف) (منى) أمام عينىّ ، وأنا عاجز عن إنقاذها بسبب مخدّرك اللعين ، ولقد أقسمت فى هذه اللحظة ألا تسرى فى دمائى نقطة واحدة منه بعد ذلك .

اتسعت عينا (سيرجى) فى دهشة ، فى حين أردف (أدهم) فى عزم :

— ولقد كدت ألقى حتفى بالفعل ، وانهار جسدى تماما ، وأنا أقاوم رغبتى فى هذا السم ، ثم فقدت الوعى ، وظللت كذلك يومين كاملين ، وشاء الله (العلى القدير) أن أفيق بعدهما ، وقد نجوت من سمك تماما أيها الكوبرا .

وتحوّلت لهجة (أدهم) إلى صلابة الفولاذ ، وهو يردف :

— وكان علىّ أن أنتقم .

غمغم (سيرجى) فى شرود :

— تنتقم ؟!

أجابه (أدهم) فى حزم وصرامة :

— نعم أيها الكوبرا .. لقد هشمت رجلك الأول (الكسندروف) ، وعثرت فى جيب هذا الغبى على قائمة بأسماء كل رجالكم فى (بلغراد) ، وبدأت بتحطيم أقواهم ، المفتش (تينو) ، أما الباقون ، فهناك حملة اعتقالات واسعة تجرى لاصطيادهم الآن ، بقيادة المفتش (جوزيف) .

هتف (سيرجى) من شدة انفعاله ، وهو ينهض :

— يا للشيطان !!

قال (أدهم) فى سخرية واضحة :

— لم يكن هذا يكفينى أيها الكوبرا .. لقد نجحت أيضا فى العثور على الصندوق الأسود ، بمعاونة ذلك الحقير (تينو) ، وانتزعت منه كل الأفلام الخاصة بمنشآتكم العسكرية ، وخطوطنا الدفاعية .

وتألقت عيناه ببريق ساخر ، وهو يردف :

— ولقد حرصت على إرسال نسخة من صور منشآتكم العسكرية إلى رؤسائك فى (موسكو) مع تحياتى ، وأعتقد أن هذا سيثير جنونهم .

عقد (سيرجى) حاجبيه ، وهتف فى غضب :

— إلى (موسكو) ؟!

ابتسم (أدهم) فى صرامة ، وقال :

— لم يكن يكفينى إلا تحطيمك تماما أيها الوغد .

وفجأة انتزع (سيرجى) مسدسه ، وصرخ وهو يطلقه نحو (أدهم) :

— ما دمت قد انتهيت ، فلنذهب إلى الجحيم معا أيها الشيطان المصرى

* * *

لو أن (سيرجى كوربوف) فعل هذا منذ أسبوع واحد فقط، عندما كان (أدهم صبرى) أسيرًا لمخدر الكوكايين، لأصاب منه مقتلًا فى سهولة ويسر ..

ولكن الكوبرا كان يواجه هذه المرة رجلًا آخر ..

يواجه (رجل المستحيل)، الذى تغلى عروقه بالغضب، والثورة، والرغبة فى الانتقام ..

كان يواجه قنبلة ذرية حية، تحمل اسم (أدهم صبرى) ..

قفز (أدهم) جانبًا فى مهارة مذهلة، متفاديًا الرصاصة القاتلة، ثم غاص بجسده إلى أسفل، متفاديًا رصاصة أخرى، وانقض كالصاعقة على (سيرجى كوربوف)، وبضربة قوية أطاح بمسدسه، ثم هوى بقبضته اليمنى على فك (سيرجى)، وأعقب ذلك بلكمة ساحقة على أنفه، وثالثة فى معدته، ورابعة فى صدره ..

وسقط (سيرجى) على ركبتيه، ولوّح بكفه وهو يهتف فى ضعف:

ـــ كفى .. كفى .. إننى أستسلم.

ثم استعاد نشاطه بغتةً، وقفز نحو (منى)، وانتزع من سترته خنجرًا ماضيًا، وجذب (منى) من شعرها فى قوة،

جعلتها تصرخ ألمًا، ووضع نصل خنجره على عنقها، وهو يهتف فى شراسة:

ـــ حذار أيها الشيطان المصرىّ، وإلّا بترت عنقها بضربة واحدة.

قال (أدهم) فى غضب هادر:

ـــ حذار أن تمسّها أنت أيها الوغد، وإلّا جعلتك تندم على اليوم الذى وُلِدت فيه.

أطلق (سيرجى) ضحكة ساخرة عالية، وقال:

ـــ إنك لم تترك لى ما أخسره أيها الشيطان المصرى.

تألقت عينا (أدهم) فى صرامة، وهو يقول:

ـــ بل .. هناك حياتك أيها الكوبرا.

ارتجفت عضلات وجه (سيرجى) لحظة، ثم صاح فى حنق:

ـــ إلى اللقاء أيها الشيطان المصرى .. لن أسمح لك بالفوز فى المرة القادمة.

وبقفزة بارعة رشيقة، اخترق زجاج النافذة المجاورة، وهبط إلى حديقة المنزل، وقفز (أدهم) يلتقط المسدس الملقى أرضًا، وهو يقول:



وبقفزة بارعة رشيقة ، اخترق زجاج النافذة المجاورة ،
وهبط إلى حديقة المنزل .

ـ لن تكون هناك مرة قادمة أيها الكوبرا .

وقفز خلفه فى إصرار ..

* * *

كان الظلام والصمت يخيمان على الحديقة تماما ، ولكن (أدهم) كان يعلم أن (سيرجى) هناك ، فى مكان ما ..

وحبس (أدهم) أنفاسه ، وهو ينقّل بصره فى أنحاء الحديقة ، ثم تحرّك فى بطء وهدوء ..

وفجأة رأى خنجر (سيرجى) يندفع نحوه ..

قفز (أدهم) جانبا ، وسمع صوت الخنجر ، وهو يرتطم بجدار المنزل ، ثم اندفع نحو (سيرجى) ، الذى غادر مكمنه خلف إحدى الأشجار ، وانطلق يعدو نحو سيارته ..

وقبل أن يلحق (أدهم) به ، فتح (سيرجى) باب السيارة ، والتقط من داخلها مسدسا صامتا ، أطلق منه رصاصة نحو (أدهم) ، الذى ألقى نفسه أرضا ، وسمع صوت الرصاصة تمرق فوق رأسه تماما ، ولم يكد يعتدل ، حتى كان (سيرجى) قد انطلق بسيارته فى مهارة .

ورفع (أدهم) مسدسه فى سرعة ، وصوّبه فى دقة وهدوء إلى السيارة ..

كانت يده ثابتة كالفولاذ ، والثقة فى إحكام ..
واطلق رصاصتين ، لم تخطئ أيتهما هدفها ..
أصابت الأولى إطار السيارة ، فانحرفت فى حِدَّة ، وأصابت الثانية خزَّان الوقود تمامًا ..
ودوّى انفجار هائل ، فى ذلك الحىّ الهادئ ، فى (بلغراد) ..
انفجار اهتزَّ له الحىّ كله ، وتألقت أضواؤه على وجه (أدهم) ..
واندلعت النيران فى سيارة (سيرجى) ..
وغمغم (أدهم) فى هدوء :
ـــ وداعًا أيها الكوبرا .. لقد سقطت أنيابك أخيرًا .

* * *



٤ ـــ الختام ..

نهض مدير المخابرات المصرية من خلف مكتبه ، وصافح (أدهم) فى حرارة ، وهو يبتسم ابتسامة واسعة ، وهتف فى تقدير :
ـــ لقد كنت رائعًا هذه المرَّة يا (أدهم) .. لقد بهرت الملحق الطبى لسفارتنا فى (يوجوسلافيا) .. إنه يقول إنك تمتلك أقوى إرادة رآها فى حياته كلها .
ابتسم (أدهم) فى هدوء ، وهو يقول :
ـــ شكرًا يا سيِّدى ، ولكن هذه المهمة بالذات كانت تبدو لى عجيبة ، فظهور رجال (سكوربيون) ، ثم (سيرجى) ، ووسيلته الحقيرة فى تحطيمى .. كل هذه الأحداث تلاحقت فى سرعة ، حتى أننى لا أذكر منها الكثير .
ربَّت مدير المخابرات على كتفه ، وقال :
ـــ ولكنك أنجزت المهمة بنجاح ، واستعدت أسرارنا .
أومأ (أدهم) برأسه ، وهو يقول :

— نعم يا سيّدى ، ولقد أصبحت أبغض المخدرات تمامًا ، وأعتقد أنه سيكون من سوء حظ من يتعامل بها ، أن يوقعه قدره فى طريقى ، بعد تلك التجربة المريرة ، التى مررت بها .

مطّ مدير المخابرات شفتيه ، وقال :

— بالطبع يا (ن — ١) .. المخدرات هى أبشع خطر يواجه الشباب فى عصرنا هذا ، وكل منهم لا يدرك أنها تحطّمه ، وتنتزع منه شبابه وحيويته ، ويتصوّر أنها نوع من المتعة .

قلب (أدهم) شفتيه فى امتعاض ، وهو يغمغم :

— وبئس المتعة .. إنها قتل بطىء يا سيّدى .

غمغم مدير المخابرات :

— هذا صحيح يا (أدهم) .

ثم سأله فى اهتمام :

— ما رأيك فى الملازم (خالد) ؟.. هل كان صالحًا للمهمة ؟

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

— بالتأكيد .. إنه شاب رائع ، وسيكون له شأن كبير فى عالم المخابرات .

انتفخت أوداج مدير المخابرات ، وهو يقول :

— إنه ابنى يا (أدهم) .. ابنى الأكبر .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول فى هدوء :

— أعلم ذلك يا سيّدى ، فقد قرأت تقاريره كلها ، ولكننى — معذرة — لم أضع ذلك فى تقييمى له ، ولم أحاول معاملته بأى نوع من التميُّز .

ابتسم مدير المخابرات فى فخر ، وقال :

— كنت أعلم هذا يا (ن — ١) ؛ ولذلك لم أخبرك به .

أشار (أدهم) بسبابته ، وهو يقول :

— إنه ممتاز ، يحتاج إلى قليل من الخبرة العملية ، ويتحوّل إلى (رجل مستحيل) آخر .

ثم أردف ، وهو يبتسم ابتسامة شاحبة :

— ولكننى كنت أفضل العمل مع النقيب (منى) .

لوّح مدير المخابرات بكفه ، وهو يقول :

— لا بأس يا (أدهم) .. ستعملان معًا فى المهمة القادمة .

اتسعت عينا (أدهم) ، وهو يهتف :

— ولكن !!

قاطعه مدير المخابرات ، وهو يبتسم فى حنان أبوى :

ـ لقد طلبت إلغاء استقالتها يا (أدهم) ،، ووافقت أنا .

ارتفع حاجبا (أدهم) فى حنان ، وهو يهتف فى امتنان :

ـ كيف أشكرك ياسيدى ؟

ابتسم مدير المخابرات ، وهو يقول :

ـ لا تشكرنى ياولدى .. إنها تستحق ذلك .

ثم أردف فى صوت حاسم :

ـ أليست هى من نزعت سم الكوبرا ، من جسد (رجل المستحيل) ؟

[تمت بحمـد الله]

رقم الإيداع : ٣٦١٩